الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف-المسيلة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

مطبوعة الدعم البيداغوجي في مقياس: تاريخ الجزائر الثقافي، محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية

السداسي الثاني

(وحدة استكشافية)

الدكتور: منير قندوز

أستاذ محـــــاضـــــــر:" أ"

السنة الجامعية: 202/2021

الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
	مقدمة	03
1	المغرب الإسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية	04
2	الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني	09
3	الحياة الثقافية في الفترة العثمانية	11
	المحور الأول: بعض مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني	19
أ	– دور العلم	19
ب	-المكتبات	21
1	- انتشار حركه التأليف	23
2	- الثنائية المذهبية	25
أ	- المذهب المالكي	25
ب	- المذهب الحنفي	27
ج	- التعايش المذهبي خلال التواجد العثماني	28
3	- أهم العلوم السائدة	30
أ	- العلوم النقلية	24
ب	- العلوم العقلية	28
4	-التصوف.	32
	- نشأة التصوف وانتشاره في الجزائر	32
ب	- نشأة الزوايا بالمغرب العربي عامة والجزائر بالخصوص	34
5	- الزوايا	37
أ	- مفهوم الزاوية ونشأتها	37
ب	- وظائف الزوايا	39
ج	- أنواع الزوايا في المجتمع الجزائري	43

د	ـ دور الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر:	49
6	المحور الثاني: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني	57
أ	ـ سياسات التعليم في الجزائر اثناء العهد العثماني	57
ب	ـ وسائل التعليم:	58
ج	ـ المؤسسات التعليمية	64
د	ـ مراحل التعليم	72
ه	ـ الممارسة التعليمة في المجتمع الجزائري	74
	ـ المحور الثالث: العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني	79
أ	ـ مكانة العلماء ووظائفهم وميزاتهم	79
ب	ـ بعض وظائفهم	66
	ـالافتاء	82
	ـالقضاء.	84
	ـالخطابة	85
	مؤسسات القضاء خلال العهد العثماني:	86
	الاهتمامات العلمية والثقافية للعلماء	92
	دورهم الاجتماعي (مواقفهم من بعض القضايا الاجتماعية)	98
	ـهجره العلماء وأثارها المختلفة على الحياة الثقافية	99
	ـ قائمة المصادر والمراجع	103

الأهداف البيداغوجية والعلمية لمطبوعة الدعم البيداغوجي في مقياس تاريخ الجزائر الثقافي، للسنة الاولى جذع مشترك –تخصص العلوم الاجتماعية

تهدف هذا المطبوعة إلى تتبع تاريخ الجزائر الثقافي إبان المرحلة العثمانية وبعدها خلال الحقبة الاستدمارية، فيما يتعلق بالمجالات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والمعرفية عموما، فالاطلاع على التاريخ الثقافي للجزائر ودراسة خلال الحقب التاريخية السابقة له أهمية بالغة، في تتبع مختلف المحطات التاريخية التي مرت بها الجزائر وكيف أثرت هذه الاحداث في المنظومة الاجتماعية عموما؛ والاثار التي خلفتها الى اليوم والتقاطعات الاجتماعية والثقافية والسياسية مع مختلف الفاعلين خلال تلك الحقب التاريخية السابقة وعمليات التفاعل التي نتجت عن ذلك من تأثير وتأثر، كل ذلك حتى يتضح للدارس بجلاء تحليل الواقع الاجتماعي بناء على اطلاعه وتتبعه لتاريخ الجزائر الثقافي، وليكون على دراية بطبيعة التحولات الاجتماعية والثقافية التي يعيشها المجتمع الجزائري، وكذا الشعوب المجاورة التي تقاطعنا معها في محطات وأحداث تاريخية خلال حقب سابقة مازالت تلقي بضلالها إلى عصرنا الحالي، وعليه تتمثل الأهداف البيداغوجية والعلمية لمطبوعة الدعم البيداغوجي في مقياس تاريخ الجزائر الثقافي إلى :

- التعريف بماهية تاريخ الجزائر الثقافي وعناصره وطرق دراسته.

- تمكين الطالب من الاطلاع على تاريخ الجزائر الثقافي أيام الجزائر العثمانية وخلال حقبة الاحتلال الفرنسي.

- التعرف على مختلف الاحداث التاريخية خلال هذه الفترة وكيف ساهمت في رسم معالم التاريخ الثقافي الجزائري.

- تنمية اتجاهات إيجابية لدى الطالب الدارس لموضوعات تاريخ الجزائر الثقافي.

- تمكين الطالب من فهم التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري بناء على الحقائق التاريخية المتعلمة، وكذا تحليل وتفسير الواقع لاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري بناء على الأحداث والحقائق التاريخية التي عرفها المجتمع الجزائري في المحطات التاريخية المدروسة.

- تعرف الطالب على المفاهيم المرتبطة بالحقبة العثمانية وكذا بالتاريخ عموما والثقافة والتربية والفكر والعلاقة بينها.

- تعريف الطالب بالقوى والعوامل المؤثرة في الحركة التاريخية الثقافية للمجتمع الجزائري.

مقدمة:

شهد المغرب الإسلامي قبيل دخول العثمانيين عصر ضعف سياسي تمثل في سيطرة الإسبان على معظم موانئ المغرب العربي من جهة، ومن جهة أخرى كان

هناك تنازع بين الدويلات الثالث بني مرين -بنو عبد الواد- الحفصيون بالرغم من تدهور الأوضاع السياسية إلا أن ذلك لم يمنع من وجود حياة فكرية مزدهرة في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، حيث عرفت نشاط فكريا كبيرا احتل مكانة عالية في تنوع العلوم وكثرة العلماء الكبار الذين ذاع صيتهم في العالم العربي الإسلامي، نظرا لإنجازاتهم ومؤلفاتهم الضخمة في مختلف العلوم، وفي أيام بني زيان ازدهرت كل مدن الإمارة خاصة تلمسان التي أصبحت أزهى المدن بعد القيروان وتونس وفاس ومراكش، وكان التعليم بجميع مستوياته منتشرا في المدارس والمساجد والزوايا، حيث انه في المرحلة الأولى يركزون على تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في المساجد، أما في المرحلة الثانية فيقبلون على تعلم دراسة النحو واللغة والفقه، ثم ينتقلون إلى المرحلة الأخيرة فيدرسون العلوم الدينية والعلوم العقلية والاجتماعية والآداب بالتفصيل، وقد كان لهجرة الأندلسيين أثر كبير في النهضة العلمية والفكرية التي شهدها المغرب الأوسط فاشتغلوا بالتدريس وشاركوا في التأليف، كما أنهم احتكروا ميدان التعليم ونالوا نصيبا في تدريس علوم اللغة والأدب والفن والموسيقى، فقد كان من بين الفارين العلماء والأدباء والشعراء والحرفيين...

المحاضرة الأولى

المغرب الإسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية:

بعد تفكك الدولة الموحدية إلى إمارات ثلاثة الإمارة الحفصية والزيانية والمرينية وظهور الخلافات والنزاعات السياسية بين هذه الإمارات انكمشت المظاهر الثقافية

وقلت النشاطات العلمية بل انعدم الاجتهاد بالمغرب الإسلامي وضاقت سعة الفقه الإسلامي وقتل النشاط والبحث العلمي يقول ابن خلدون "ومدعي الاجتهاد في هذا العصر مردود علي عقبه، مهجور تقليده " وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأربعة ولكن في المغرب الإسلامي والجزائر خاصة فإنها بريئة من تشعب الجدل الديني في العقائد واختلاف الجماعات والناس على عقيدة هل النسبة والجماعة حسب أصول الأشعري وتعاليمه التي جاء بها ابن تومرت من المشرق إلا ما كان من الإباضية (ابن خلدون ، ص 218)

ولكن الوجه الثقافي الجديد في هذا العصر هو انتشار الطرق الصوفية كالفادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 1166م والشاذلية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي المتوفى 1258م، والنقشيندية المنسوبة إلى الشيخ خواجة بهاء الدين نقشبند المتوفى سنة 1389م وهذه الطرق الثلاثة هي نواة كل طرق المتصوفة المنتشرة في الجزائر والمغرب الإسلامي وغيره، ولكن الجزائر لم تتأثر بالفكر الصوفي إلا في عهد التركي العثماني قصرت عناية الحفصيين في الجزائر بالثقافة والعمران على توسيع قصبة قسنطينة وجامعها الكبير سنة 1413م وتأسيس مسجد ورقلة بالجنوب الجزائري,

وعلى خلاف ما قامت به في تونس لقد واصلت المشوار الفني والثقافي الذي سارت عليه دولة الموحدين، وحتى لا ننسى فالدولة الحفصية ولدت من رحم الدولة الموحدية التي ورثت خطا وفيرا من الحضارة الأندلسية والحركات الثقافية المتبادلة بين الأندلسيين والحفصيين بتونس بالإضافة إلى قرب تونس من مصر وهو ما أدى إلى امتزاج الثقافة المصرية مع الثقافة الأندلسية وما عرفته تونس كذلك من ثقافات سابقة رومانية وقرطاجية فأثار التحضر والتنوع الثقافي تظهر أكثر من شرق المغرب – تونس – أكثر من المغرب الأقصى، وأكيد الجزائر استفادة من هذا التحضر التمدن التي كانت عليه الدولة الحفصية(المشهداني، 2013، ص 440)

انتشر التعليم في العهد الحفصي بفضل الكتاتيب والمساجد التي كانت بمثابة معاهد إسلامية ويكفينا ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من أنواع العلوم والمعارف والفنون التي تلقاها هو بنفسه في المساجد وكان يعلمها للتلاميذ ويدرسها لطلبة العلم في مساجد الجزائر وفي بجاية (الشهرستاني، ص 180)

أما حركة التأليف فكانت منتشرة بكثرة في الجزائر وأكثر مؤلف مشهور هو مقدمة ابن خلدون التي كتبها في قلعة بن سلامة بالجنوب الغربي قرب مدينة فرندة (1374م)، وأن كلا من الإمام عبد الرحمان الثعالبي، وأحمد المغراوي، وأحمد بن يونس القسنطيني، وأبي العباس بن إدريس البجائي وحمزة بن محمد البجائي، ومحمد بن أحمد الوانوغي، ومحمد بن عبد القوى البجائي وبنته رقية ومحمد التفاوسي ومنصور بن محمد المتناني وناصر بن أحمد بن مزني وأسرة المشدالي والحسن بن علي المسيلي، كل هؤلاء المثقفين والأدباء والعلماء أنجبتهم الجزائر الحفصية، ومن أهم كتب الفقه المالكي التي كانت تدرس للطلبة في الجزائر وبكامل التراب المغربي كتاب أبو عمر بن الحاجب المعروف بالمختصر الفرعي جلبه إلى المغرب ناصر الدين الزواوي وعلمه لتلاميذه في بجاية ونشروه طلابه في الأمصار المغربية، ولم يكن يومئذ بالجزائر وغيرها من بلاد المغرب من يعرف مختصر خليل حتى جاء به محمد بن الفتوح التلمساني سنة (1402م) فأقبل عليه الناس وتناولوه بالشرح والتدريس مستغنين به عن بقيه الكتب الفقهية الأخرى (مسعود، 1980، ص 58).

وفي الطب اشتهر في الجزائر الطبيب "ابن ندراس" كان ماهرا في علمه وبحثه، عمل طبيبا في قصر الإمارة وفي بجاية وضع أرجورته في الأدوية.

من أهم العلماء كذلك أبو الفضل محمد المشدالي المتوفى في سنة 1460م نسبة إلى مشدالة إحدى قرى بجاية وهي بطن من بطون زواوة، فكان ممن ذاع صيته من العلماء من آل المشدالي بهذا البيت ابو علي ناصر الدين المشدالي، وأبو موسى عمران المشدالي وأبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي والد أبو الفضل وعمه محمد بن محمد المشدالي، نشأ أبو الفضل في بيئة ومحيط علم، كان شغوفا بالعلم والحكمة لازم

في بجاية عدة شيوخ منهم أبو يعقوب يوسف الريغي في علم الصرف، وأبو بكر التلمساني في فنون اللغة والمنطق، وأبو بكر بن عيسى الونشريسي وعلي يعقوب القيروني في النحو، وعلي موسى الحسناوي في الحساب ونقنه على والده وعمه كذلك، ثم رحل إلى تلمسان وأخذ عن علمائها ولازمهم مثل ابن مرزوق الحفيد وأبي القاسم ابن سعيد العقباني وأبي الفضل بن الإمام، و أبي العباس أحمد بن زاغو ولازم كذلك أبو الربيع سليمان البوزيدي، ثم ارتحل إلى بونة، وأعجب به الإمام السخاوي . (قيبوج، 2019، ص 31)

من العلماء كذلك أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي المتوفى (1470م) من أئمة وعلماء الجزائر وصلحائها ، ينتهي نسبه الجعفري إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل، رحل إلى بجاية ولازم حضور علماءها أمثال أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي، وأبو الربيع سليمان بن الحسن وأبو الحسن علي الليلياتي، والإمام أبو العباس أحمد النقاوسي، وأبو القاسم المشدالي، وأجازه ابن مرزوق الحفيد التلمساني وتخرج على يده أعلام منهم حجة علماء الكلام الإمام محمد بن يوسف السنوسي، وأخوه الإمام أبو الحسن علي الشالوتي، والشيخ أحمد رزوق ومحمد المغيلي التلمساني وسيدي أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري وابن مرزوق الكفيف...، ولي الخطابة في الجامع الأعظم بالجزائر ترك ما يزيد على تسعين 90 مؤلفا بين متون وشروح وحواشي وتعاليق وكتب مستقلة في الوعظ والرقائق والتفسير والفقه والحديث والتاريخ، منها كتاب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" وكتاب "روضة الأنوار ونزهة الأخيار" في الفقه وكتاب "جامع الهمم في أخبار الأمم" وكتاب "جامع الأمهات في أحكام العبادات" توفي سنة 1471م. (سعد الله ، 1998، ص 213)

ومن العلماء كذلك العالم المتفنن الشيخ أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى الحميري القسنطيني تتلمذ على محمد بن عيسى الزيلدوي، وأبي القاسم البرزالي وابن

غلام الله القسنطيني، وأخذ على عبد الله بن مرزوق الحفيد والإمام ابن حجر والعز بن عبد السلام المقدسي. (قيبوج، 2019، ص 32)

ومن العلماء كذلك العلامة الفقيه الضليع البارع الإمام أبو زكريا يحي بن أبي عمران المغيلي المازوني، أخذ العلم عن أبيه وعن بن مرزوق الحفيد والإمام قاسم العقباني ومحمد بن العباس وله تأليف (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) ومن هذا الكتاب استمد الونشريسي كتابه (المعيار المغرب) وتوفي سنة 1478م.

وقد امتلكت الدولة الحفصية مكتبة لم يشهد لها مثيلا في ذلك الوقت حوت 350 ألف مجلد.

ومن العلماء المشهورين في العهد الحفصي كذلك يحيى بن عبد المعطي الزواوي الجزائري توفى 1231م تفقه على المذهب المالكي على يد الشيخ أبي موسى الجزولي، نظم ألفية في النحو المشهورة باسم (الذرة الألفية) وهي التي أشار إليها ابن مالك النحوي في ألفيته، وعندما استولت الدولة المرينية على بعض أقاليم الجزائر من الدولة الحفصية، فأنشأ أبو الحسن المريني (1347) المسجد الجامع المتصل بصريح الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي في تلمسان، وأنشأ مدرسته مجاورة للمسجد وكلاهما آية في الفن المعماري والزخرفة والنقش أما الضريح فهو من آثار الدولة الموحدية، وشيد البرج الأحمر وبرج المرسى بوهران، وكذلك الجامع بمستغانم والمسجد (1340م). ويذكر أن جناحا من الجامع الأعظم في الجزائر من زيادات الحسن المريني. (سعد الله ، 1998، ص 215)

المحاضرة الثانية:

الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني:

شهدت تلمسان عاصمة الزيانيين حركه ثقافية وعلمية نشطه، ففي العهد الزياني أصبحت تلمسان من أهم الحواضر العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، فقد شجع حكام بني زيان على غرار أسلافهم الموحدين الحركة الثقافية والعلمية، واحتفوا بأهل العلم والأدب، وجعلوا من تلمسان مركز استقطاب للمفكرين من شتى بلاد الإسلام، خصوصا من المهاجرين الأندلسيين الذين فروا من بلادهم بسبب البطش المسيحي، حاملين معهم علومهم وآدابهم وقد سجل هذا الازدهار في مظاهر علميه وثقافيه متعددة منها كثرة مراكز التعليم من مساجد ومدارس وزوايا، وكثره العلماء بالمدينة، وظهور الكثير من المؤلفات التي تنوعت بين علوم نقلية وأخرى عقلية تتضمن جل العلوم

والفنون المعروفة في تلك الفترة، وكان لهذا النشاط تأثير وإشعاع ثقافي كبير ليس على تلمسان فحسب بل امتد ليشمل المغرب والأندلس.(المشهداني، 2013، ص 447)

وكان التعليم منتشرا في المدن والقرى، حيث يتعلم الطلاب في المرحلة الأولى القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القران الكريم وتجويده، ويكون ذلك في الكتاتيب وبعض الزوايا ويكون الطلبة غالبا من صغار السن حيث يتلون القران الكريم بصوت واحد، وفي مرحله متقدمة يدرس الطلبة علوم النحو واللغة والفقه والأدب، فيحققون مستوى لائق يمكنهم من معرفة دينهم والإلمام باللغة العربية، وعدد الطلبة فيها يقل عنه في المرحلة السابقة، وفي مرحله ثالثه يركز الطلبة على فرع معين من العلوم والآداب بمزيد من التوسع والتعمق والتفصيل، وتكون الدراسة في هذه المرحلة في المدارس أو المساجد المشهورة كالمسجد الأعظم بتلمسان، ويقل عدد الطلبة عن المرحلة السابقة أما سن الطالب فيكون في حدود ال 20 عاما، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة التي تستمر حوالي عشره أعوام يطوف الطلاب البلاد للقاء العلماء المشهورين، وكثير منهم يرتحل إلى أقطار المغرب الأخرى والمشرق، فيوسع مداركه العلمية ويتعمق فيها، وقد يشتغل هناك بالتعليم أو بمناصب أخرى، فتأثرت بذلك الحياة الفكرية إلى مدى بعيد بفضل هذا الاحتكاك مع علماء الأقطار الإسلامية الأخرى. (قيبوج، 2019، ص 34)

أما نظم التدريس فكانت على نوعين من التعليم النوع الأول حكومي ويسمى كذلك التعليم الرسمي، وهو التعليم الذي تأخذ فيه الدولة على عاتقها بناء المدارس وتعيين المدرسين وتحديد أجور المدرسين وعطاءات الطلاب، وفي هذا النظام التعليمي تقوم الدولة بتدريس المضامين والمذاهب التي تريدها، وتهتم بهذا النوع من التعليم لتكوين وتخريج موظفين لها.

وتذكر المصادر خمسة مدارس كبرى بتلمسان أنشاها الحكام الزيانيون والمرينيون بداية بالسلطان أبي حمو الأول(718هـ) الذي انشأ مدرسة أولاد الإمام يوسف بن يعقوب وهما العالمان الجليلان أبو زيد وأبو موسى ووضعهما للتدريس فيها وأقام إيوانين معدين للتدريس، بجانبهما دارين لسكن ابني الإمام، ومساكن للطلبة، وفي عهد

السلطان أبي تشوفين الأول (737هـ) لم تعد مدرسه أولاد الإمام تفي بالغرض لتزايد أعداد الطلبة، فإنشاء السلطان مدرسة جديدة سماها المدرسة التشفينية قرب المسجد الأعظم، وعين أفضل العلماء للتدريس بها منهم العالم الفاضل موسى المشدالي، وأقر للمدرسين والطلبة رواتب وانشأ السلطان أبو عنان المريني سنة (547) مدرسه عند ضريح الولي أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي، وأقام السلطان أبو حمو موسى الثاني المدرسة اليعقوبية نسبة إلى والده أبي يعقوب يوسف سنة (765هـ) وجلب لها أشهر المدرسين وعلى رأسهم العالم الجليل الشيخ الشريف التلمساني، كما أنشاء السلطان أبو العباس أحمد العاقل سنة (650هـ) المدرسة الجديدة بتلمسان وعين لها الأوقاف والأحباس، وهكذا كانت تلمسان في عهد أبي حمو الثاني بفضل مدارسها الخمس ومسجدها الأعظم مركزا ثقافيا هاما وبلد إشعاع علمي يضاهي أهم المراكز الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي.

أما التعليم الحر فكان يتم دون تدخل الدولة أو تكون سيطرتها عليه قليلة، ويكون عادة داخل الزوايا وقرب قبور الأولياء وبعض المساجد، وابتعاد هذا النوع من التعليم عن سلطة الدولة جعله أوسع مجالا وأكثر معرفه بالمذاهب والفرق من النوع الأول.

وكانت العلوم التي يتم تدريسها في تلمسان في تلك الحقبة التي تشمل كل العلوم المعروفة في ذلك الوقت، وكان إقبال الطلبة كبيرا على شتى صنوف العلم والمعرفة، ويمكن تصنيف هذه العلوم إلى ثلاثة أقسام كبرى هي: العلوم الدينية المستندة إلى الشرع المأخوذة من الكتاب والسنة، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ثم العلوم العقلية والطبيعية. (قيبوج، 2019، ص 41)

الحياة الثقافية في الفترة العثمانية:

عرفت الحياة الثقافية في الفترة العثمانية (16م إلى 19م) استقرارا ملحوظا وحافظت على رتابة النشاط العلمي والثقافي الذي عرفت به قبل الوجود العثماني، واستمرت على الحفاظ على ذلك المظهر الثقافي خلال فترة حكم العثمانيين الذي دام ثلاثة قرون

عرفت الجزائر خلالها أوضاعا سياسية واقتصادية واجتماعية غير مستقرة أثرت على الوضع الثقافي في الجزائر، أطلق على هذه المرحلة من تاريخ الجزائر الثقافي اسم مرحلة الاستقرار الثقافي، في الوقت الذي أطلق عليها بعض الباحثين في التاريخ مرحلة الانحطاط الثقافي أو التدهور الثقافي أو ما شابه من هذه المصطلحات التي تحمل الحكم العثماني السبب في ذلك الوضع، بينما الأمر ليس كذلك فالغزو الإسباني الذي حل بالجزائر دفع الكثير من علماء الجزائر للهروب منها واللجوء إلى بلدان الجوار تونس والمغرب ، كذلك انحسار العلوم الدينية والعلمية في عائلات معينة وزهد المجتمع الجزائري في تحصيل وطلب العلم (عائلة ابن مرزوق، والمقرى والعقباني بتلمسان وأسرة بن باديس وابن قنفذ والفكون بتلمسان وأسرة المشدالي والغبريني في بجاية)، بينما وحد العثمانيون الدولة الجزائرية تحت عاصمة واحدة ونظام سياسي موحد بعدما كانت مقسمة إلى ناحيتين ناحية شرقية حفصية والأخرى غربية زيانية.

سمح الأتراك كذلك بالهجرات الأندلسية وقاموا بحمايتهم من الإسبان وعملوا على توطينهم في الجزائر، وهذا ما جعل الجزائر تنال حظها مرة أخرى من الثقافة الأندلسية مثل الذي عرفتها من قبل أثناء هجرتهم الأولى عند سقوط الأندلس.

وأهم شيء أن الأتراك تحكموا في المظهر السياسي والاقتصادي بينما تركوا الحرية في التعليم والتعاليم المذهبية والدليل أن اللغة التركية لم تؤثر في اللسان الجزائري وكذلك بقاء المذهب المالكي هو المذهب الغالب الذي ألتزم به المجتمع، بالرغم أن الأتراك كانوا على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ولم يساهم الأتراك في نشر مذهبهم، بل بقى محصورا في الحواضر التي يسكنها الأتراك بكثرة وقاموا بتعيين المفتي المالكي بجوار المفتي الحنفي، ومنحوا له سلطات واسعة عند أداء وظيفته.

لا أحد ينفي أن الحركة الثقافية كانت تتمركز في ثلاثة حواضر وهي قسنطينة وتلمسان والجزائر العاصمة وكانت هذه الحواضر تعد حقا مراكز إشعاع ثقافي وفكري ازدهت فيها العلوم والفنون لعدة قرون. (مسعود، 1980، ص 58)

لكن هذه الحركة الثقافية تقليدية صوفية أهملت العلوم الفقهية والأدبية والعلمية وهذا بسبب الانتشار الواسع للطرق الصوفية والزوايا المرابطية والأضرحة والمبالغة في اعتقاد الشيخ وابتداع الحضرة والأوراد، وهذا ما سبب تبسيط المعرفة وغلق باب الاجتهاد والاكتفاء بالحد الأدنى من التعليم وأصبحت الزاوية المرابطية (الصوفية) تنافس الجامع والمدارس القرآنية، وبالرغم من ذلك لم تكن الجزائر تخلو من التعليم، فالأتراك عند دخولهم للجزائر وجدوا قاعدة تعليمية جيدة عند الحفصيين في الشرق أو عند الزيانيين في الغرب، فالتعليم كان منتشرا بجميع مستوياته في المدارس والمساجد وفي الزوايا وكانت جلسات التدريس حول كل أستاذ مشهور تعقد في المدارس أو الجامع أو الزاوية ويلتف حوله التلاميذ لتحصيل علوم الدين واللغة والمباحث الفرعية الفقهية على مذهب الإمام مالك (سعد الله، 1998، ص 46)

لا ننسى أن الأوضاع المتدهورة التي عرفتها الجزائر في هذه الفترة هي نفس الأوضاع المضطربة التي عرفتها بلدان العالم الإسلامي كله وبالتالي ما على الجزائر إلا أن تستند لرصيدها الثقافي والعالمي الذي خلفته سياسات الدول السابقة التي عرفت ازدهارا علميا كبيرا كما سبق ذكر ذلك فيما سبق.

يرجع الاستناد أبو القاسم سعد الله (رحمه الله) عدم اهتمام الأتراك بالحركة الثقافية إلى الاغتراب اللساني (اللغة) والاغتراب التاريخي، فمن غير الممكن أن يتجرأ الأتراك على إبدال لغة القرآن بلغتهم، بل بالعكس فهم يتنافسون لتعلم اللغة العربية التي تسمح لهم بقراءة القرآن وفهمه أما الاغتراب التاريخي فالأتراك يشعرون بالرابط الديني الذي هو أقوى من الرابط الزماني والمكاني. (سعد الله، 1998، ص 85)

المحاضرة الثالثة

الأوضاع الثقافية للمغرب الأوسط في أواخر العهد الزياني:

مما شاع كذلك في العهد العثماني افتقار الجزائر لمركز علمي أو صرح ثقافي لجمع العلماء والمفكرين والمثقفين كجامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في المغرب الأقصى، وعدم وجود مثل هذين المعلمين في الجزائر.

أولا: هذه المعالم لم تنشأ في العهد العصر التركي فلا ينبغي أن تحاسب الأتراك على افتقار مثل هذه المعالم في الجزائر الذي ينبغي محاسبته هم السلطة التي حكمت الجزائر في فترة بناء هذه المعالم.

ثانيا: وجود معاهد إقليمية ومراكز ثقافية في حواضر البلاد الكبرى لمدينة الجزائر العاصمة وتلمسان وبجاية وقسنطينة متنافسة ومتساوية بينهما في المنزلة العلمية وكذلك لم يكتب لواحده منها أن ترتقى إلى مستوى مركز ثقافي مركزي كما هو موجود في المشرق والمغرب (مسعود ، 1980، ص 71)، وكذلك من الأمور التي ينبغي أن تحسب للأتراك في فترة حكمهم وهذه مسألة مهمة وهي إعادة التوازن الحركة الثقافية التي كانت موجهة فقط للمدن المتحضرة ويحرم منهم سكان الأرياف والجبال.

لم تستقر الحركة الثقافية في الجزائر أثناء الحكم العثماني على وتيرة واحدة مستقرة، فبعد النزاع السياسي الكبير الذي عانت منه هذه الثقافة في القرن 16م الذي شهدت هجرة العلماء الواسعة وكثرة الحروب والأوبئة، أخذت الحياة تدب من جديد في القرن 17م باستقرار الأوضاع وازدهار الحياة وقدوم العلماء والمسلمين إلى الجزائر، ثم شهد القرن 18م وبدايات القرن 19م حركة قوية من صفوف العلماء ونشاط علمي معهود والعناية بالتعليم والإكثار من التأليف، عرفت الفترة الأخيرة أثناء الحكم التركي حركة ثقافية نشيطة تميزت بتشجيع التعليم والعناية بالأوقاف والاهتمام بالعلماء والكتب ومن بين الذين ساهموا في هذه الحركة "صالح باي" و"الحاج محمد الكبير" (سعد الله، 1998، ص 19).

أهم العوامل التي ساهمت في تحريك وتنشيط وإحياء الحركة الثقافية في هذه الفترة هي :

- المراكز الحضارية والثقافية التي كانت متواجدة في الحواضر الجزائرية الكبرى التي كانت فضاء للالتقاء والاجتماع بين العلماء والمفكرين والمثقفين بتبادل الأفكار ولتحصيل العلوم والمعارف.

- الماضي الثقافي والتراث الفكري لتلك الحواضر الجزائرية الأربعة تلمسان وقسنطينة والعاصمة وبجاية.

- استمرار قدوم الأندلسيين إلى حواضر الغرب الجزائري والاستفادة من التراث الثقافي الأندلسي.

- دور الرحلات التجارية في المنطقة بن الشمال والجنوب والشرق والغرب قوى الروابط الثقافية بين أفراد المجتمع الإسلامي في منطقة شمال إفريقيا.

- تشجيع البعثات العلمية إلى المراكز الثقافية العلمية التابعة للدولة العثمانية في العالم الإسلامي كالأزهر والزيتونة. (المشهداني، 2013، ص 434- 435)

وفي العهد الأخير من الحكم العثماني في الجزائر قاموا بتشييد المساجد والمدارس أشهرها المدرسة المحمدية بمدينة معسكر، ومدرسة سيدي لخضر بقسنطينة، ومدرسة سيدي الكتاني لتعليم مختلف الفنون، والمدرسة العثمانية بالجزائر العاصمة، والفضل يعود في مدينة قسنطينة إلى حركة التعليم الشعبية التي قامت على عاتق الأسر المحلية الكثيرة التي تولت الاعتناء بها والتدريس بها العلوم التقليدية، وأحصيت عدد المؤسسات الثقافية قبل الاحتلال الفرنسي بـ 93 مؤسسة، أما في عنابة فقد تم إحصاء 39 مؤسسة للتعليم العام قبل الاحتلال الفرنسي وزاويتان و37 مسجدا علميا فضلا عن ثلاث زوايا في الريف، وفي سطيف زاويتان وهما زاوية أولاد مصباح وزاوية بن علي الشريف، أما بسكرة وسيدي عقبة وطولقة فهي كذلك عرفت حياة ثقافية مزدهرة (مسعود ، 1980، ص 169)، وبالنسبة لمنطقة القبائل لا توجد إحصائيات بخصوص حالة

التعليم قبل الاحتلال الفرنسي لكن يذكر أنه كان بها حوالي 16 زاوية أساسية يديرها مرابطون، والشيء الملاحظ في هذه الفترة هو الانتشار الكبير الذي عرفته المراكز الثقافية في المناطق الريفية الجزائرية وهو ما يحسب لفترة الحكم العثماني بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى الجبال والقرى، حيث اشتهرت عدة معاهد كمعاهد بن يعلى العجيسي، وعبد الرحمان اليلولي وأحمد بن باديس وقرومة وبني خليل والمدية، ثم معاهد الراشدية ومازونة والوانشريس واليعقوبي وندرومة ونواحي تلمسان كعين الحوت والشيخ بن أحمد البيدري (مسعود، 1980، ص 67).

ومن الأشياء الإيجابية التي عرفت بها السياسة العثمانية في الجزائر تسيير الشؤون الثقافية والمحافظة على المراكز التعليمية والثقافية وتفعيل الحركة الثقافية بفضل الأموال الوقفية (عائدات الأوقاف) هذه المؤسسات الوقفية التي وجدت حلولا ملائمة لتسيير المصالح الثقافية والاعتناء بالمؤسسات الدينية والتعليمية والمساهمة في نفقات الدراسة وتلبية حاجات التلاميذ والتكفل بأجور الأساتذة والمعلمين والمشرفين على شؤون العبادة بالزوايا والمدارس والمساجد (بن ناصر الدين، 1980، ص 192) فكانت الجزائر تتوفر على 106 مساجد أهمها الجامع الأعظم الذي يعرف من أوقافه لخدمة 19 مدرسا و18 مؤذنا و13 قيما، بالإضافة إلى ثلاثة وكلاء يسهرون على تنظيم الأعمال به (سعد الله، 1998، ص 256).

أما مدينة قسنطينة فكان عدد الأماكن فيها يزيد عن 100، منها 35 مسجدا و169 زاوية و7 مدارس رئيسية و600 تلميذ و150 تلميذ من الأرياف كلهم يتقاضون منحة سنوية من وكيل الأوقاف، بالإضافة إلى أن فائض مردود الأوقاف يستغل لإنشاء أماكن ومرافق جديدة للعبادة أو التعليم ومثل ذلك زاوية الجامع الأعظم التي بنيت بفضل مردود فائض الأوقاف سنة 1630م.

ومن مشاهير علماء الجزائر في العهد العثماني:

- أبو مهدي عيسى الثعالبي المتوفي 1080هـ تلميذ سعيد قدورة وعبد الكريم الفكون.

- سعيد قدورة مفتي وإمام الجامع الكبير في العاصمة له إسهام كبير في الحركة العلمية بالجزائر العاصمة، وهو الذي تمكن من بناء زاوية ومدرسة بالعاصمة من أوقاف الجامع الكبير.

- الشيخ يحيى بن محمد النابلي الشاوي الملياني الجزائري المالكي برز في الفقه والأصول والمنطق والنحو والبيان تلميذ الشيخ محمد بن محمد بهلول وتلميذ الشيخ مهدي الثعالبي له مؤلف في أصول الفقه وله شرح التسهيل لابن مالك توفى 1069.

وزاوية باش تارزى، بالإضافة إلى المكتبات مثل مكتبة الفكون احتوت على 2500 مجلد وكتب متنوعة بين العقائد والفقه والتصوف.(سعد الله، 1998، ص 265)

كانت قسنطينة قبلة للتلاميذ والعلماء أمثال محمد بن راشد، عبد الكريم الفكون الحفيد الزواوي وحميدة بن باديس القسطيني ومحمد الفاسي ومحمد السنوسي، بالإضافة إلى مجموعة من الأساتذة والمشايخ والقضاة أمثال : عمر الوزان،- عبد الرحمان الأخضري، محمد العطار، عبد الكريم الفكون الجد إمام وخطيب الجامع الأعظم والشيخ محمد التواتي النحوي. (العيد، 1980، ص 66).

ومن العلماء كذلك :

- ابن عمار وكتابه الرحلات (ت 18).

- الورتلاني من كتب أيضا رحلة إلى الشرق.

- عبد القادر المشرفي ورسالته "بهجة الناظر في أخبار الداخلين".

- حمدان خوجة وكتابه (المرآة) وهو من أهم الكتاب للوثائق المعاصرة التي شهدت الغزو والاحتلال الفرنسي.

- الحاج أحمد بن المبارك وكتابه (تاريخ قسنطينة).

- صالح العنتري وكتابه (تاريخ بايات قسنطينة).

ولم تكن تلمسان تختلف على باقي الحواضر الجزائرية الأخرى في عهد الدولة العثمانية فهي مدينة علم وثقافة قبل دخول العثمانيين تحضي أسماء عديدة من المراكز التعليمية والدينية أهمها مدرسة العباد والجامع الأعظم والمدرسة اليعقوبية والمدرسة التاشفينية، إضافة إلى كثير من المساجد والزوايا والكتاتيب، عرفت تلمسان عائلات اشتهرت بالعلم والمعرفة، وتوجد مدارس أخرى كمدرسة الحلوي ومدرسة أبي مدرين.

عرفت تلمسان عدة علماء وأشهرهم أحمد المقري صاحب كتاب (نفخ الطيب) توفى سنة 1631م، وعرفت كذلك الجيلالي بن رقية التلمساني، وخليفة بن عيسى الراشدي، والحاج محمد بن قاسم الموبل والشيخ أبو الحسن علي الميناوي، والشيخ عيسى البوسعيدي والشيخ عبد الرحمان الوُلوي والشيخ محمد الزهري والشيخ محمد بن علي الوطاسي، والفقيه الشيخ موسى بن عيسى مؤلف كتاب ديباجة الافتخار وحلية المسافر (بوسيف، 2019، ص91).

أما قسنطينة فقد عرفت حركة علمية مشابهة كذلك للمدن الحضارية الجزائرية الأخرى، لعبت المراكز الثقافية والدينية كذلك دورا كبيرا في نشر العلم وإيواء التلاميذ، ومن أبرز تلك المراكز المسجد الكبير (الجامع الأعظم)، ومسجد سيدي أبي العباس وسيدي علي بن مخلوف، أمنا لزوايا فزاوية الفكون وزاوية الشيخ الوزان، وزاوية بن نعمون. (سعد الله، 1998، ص 85)

المحاضرة الرابعة:

بعض مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني:

ـ الأوضاع الثقافية:

أ – دور العلم

شكل اختلاط العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري بداية تمازج بين الموروث الثقافي مع الثقافات الوافدة من خارج البلاد، نتج عن ذلك ظهور عدد من المدارس الدينية والفقهية، التي انتشرت في إنحاء الجزائر لتكون مراكز للثقافة العربية وقاعدتها المسجد والزوايا، إذ عمل فيها عدد من علماء الفكر والعلم من المسلمين المشتغلين بعلوم الفلسفة والفقه والأدب وباقي العلوم الأخرى، وكان لبناء الزوايا دور ثقافي واضح في النشاط الديني والعلمي، إذ شاركت في تخريج عدد من الطلبة، فضلاً عن دور المساجد التي كانت تدرس العلوم المختلفة، وكان المسجد مكاناً للعبادة ومدرسة للتعليم ودار للقضاء ومأوى للطلبة وعابري السبيل، أما الكتاب فهو عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو حتى بعيدة عنه أو غرفة في منزل، وقد خصصت لتعميم القرآن والقراءة والكتابة، والكتاتيب التي تعلم القرآن لا تخلط مع تحفيظه شيئا من العلوم الأخرى، وبلغ عددها في الجزائر نحو عشرة الاف كتاب يضم الواحد منها ما بين 20-30 تلميذاً، (العيد، 1980، ص 69) وهي منتشرة انتشاراً واسعاً في الجزائر، إذ لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا في القرى والأرياف.

لقد كان للولاة العثمانيين تكوين ثقافي بسيط مع وجود العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم، لذلك يلاحظ على العهد العثماني في الجزائر قلة الإنتاج الثقافي، لعدم اهتمامهم بذلك الجانب الحيوي والثقافي، إلا في عدد من المدن الجزائرية التي حافظت على التراث الفكري الذي ورثته ونبغ فيه علماء وشعراء واتسع أفق أبنائها في مجالات أدبية ولغوية وعقلية مختلفة.

وقد حمل المجتمع الجزائري على عاتقه نشر التعليم متأثرا بعوامل خارجية في مقدمتها هجرة الأندلسيين الذين طوروا ميدان التعليم من قواعد اللغة والأدب والعلوم والموسيقى، وذلك من خلال احتكاكهم بالأوربيين في عصر النهضة بعد فتح الجامعات في أوربا، وبقيت اللغة العربية لغة الأكثرية من الجزائريين ، مع اتخاذ الدولة اللغة التركية كلغة رسمية، رافق ذلك المناخ استعمال اللغة الخليط لغة الفرانكا عند التبادل التجاري مع الدول الأوربية التي تتعامل مع الموانئ الجزائرية، لذلك ازدهرت الثقافة

واشتهر عدد من العلماء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ونستدل من ذلك على إن العثمانيين في الجزائر لم يهتموا بالجانب الثقافي بقدر اهتمامهم بجوانب الحياة الأخرى، وان مشعل العلم قد تكفل به الجزائريون رغبة منهم في الازدهار الثقافي وللمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي.(بوسيف، 2019، ص97).

كانت دور العلم والمدارس تمول من واردات الأملاك الموقوفة التي أوقفها أصحابها أتراكا وعرباً في إعمال الخير والإصلاح والإنفاق على شؤون تلك المدارس، وتنسيب العلماء للتدريس فيها ومنحهم مستحقاتهم المالية، وكان تلامذة العلم يلازمون شيوخهم لشهور أو لسنوات عدة، وفق انقياد تام لتلقي علوم الدين والفقه، ويجرى احتفال كبير بعد كل عملية ختم للقران الكريم حين يكمل التلميذ الدراسة ويمنح الإجازة التي تؤهله حق التدريس. (مسعود، 1980، ص 171)

وقد حرص عدد من التلاميذ الجزائريون من ميسوري الحال على التزود بالعلم من مصادر خارجية، فهاجروا إلى المشرق والمغرب إلى مراكش وتونس ومصر والحجاز والشام والعراق، والتقوا بعلمائها وحصلوا العلوم على أيديهم، وكانوا ينالون حظوة كبيرة حين عودتهم إلى بلدهم، إذ يقومون بمهمة التدريس ونشر ما حصلوه من معارف جديدة، وغالباً ما يجمع إلى وظيفة المدرس وظائف أخرى كالقضاء أو الإفتاء. (سعد الله، 1998، ص 258).

ب-المكتبات:

وجد عدد كبير من المكتبات في الجزائر قبل مجيء العثمانيين إليها وقد حافظ عليها أبنائها في إثناء العهد العثماني أيضا، وكانت الكتب في الجزائر تكتب محليا عن طريق التأليف أو النسخ أو تجلب من الخارج، لاسيما من بلاد الأندلس ومصر والأستانة والحجاز، كما وجلب الجزائريون المخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب، فضلا على أن معظم الكتب قد وردت إلى الجزائر عن طريق عدد من العمال العثمانيين

في الجزائر، إذ كان القضاة والدراويش والعلماء قد اصطحبوا معهم مكتباتهم وأوراقهم ووثائقهم، ومن أهم ما جاءوا به كتب الفقه الحنفي، ونسخ من صحيح البخاري، وكتب أدعية وأذكار خاصة ببعض الطرق الصوفية، وكان النسخ بالخط الأندلسي، الذي سبق الخطوط الأخرى في المغرب العربي، فضلاً عن الخط العثماني الذي جيء به إلى الجزائر، وكان اهتمام العمال بسبب التلاقح العلمي، ولم تكن للسلطة الحاكمة يد فيه، بل هو عمل إسلامي فردي. (المشهداني، 2013، ص 433).

مع سيادة العموم الدينية في العهد العثماني كان محتوى المكتبات، كتب التفاسير والأحاديث الدينية والفقه والأصول والتوحيد والعلوم اللغوية والعقلية، إذ اشتهرت مدارس (زواوة) العلمية بالأدب والنحو والصرف واللغة والبلاغة والعروض، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة، وكتب الحساب والطب والفلك فكانت قليلة، وكثرت المخطوطات في العهد العثماني، وقد وضعت في مكتباتها التي كانت منقسمة إلى مكتبات عامة وخاصة، وهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون، ويلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها، فالمكتبات العامة كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس، بينما كانت المكتبات الخاصة تنتشر في البلاد بين العائلات المشهورة بالعلم والأعيان الذين لديهم اهتمام بالكتب ونسخها. (العيد، 1980، ص 68).

كانت المكتبات موزعة بين إنحاء الجزائر، من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم، وحسب أهمية المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان، فكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن المخطوطات، بسبب وجود العلماء والأدباء المتعلمين والمثقفين فيها كان مصير المخطوطات غير أمن، إذ ضاع عدد منها نتيجة الإهمال والنهب والتهريب والحروب التي وقعت بين الجزائريين والعثمانيين أو الحروب التي حصلت مع الأوربيين، وقدُسمح للعلماء بأخذ الكتب إلى بيوتهم وبيع بعضها خارج الجزائر، وما يقال عن المكتبات الأخرى يقال عن المكتبات الريفية، إذ كانت لها أهمية كبيرة، كمكتبة ميزاب في بني يزقن، التي حافظ عليها أصحابها كمركز مهم لحركة

الكتاب في الجزائر الغربية والجنوبية، وكما هو الحال في المكتبات الموجودة في مدن زواوة وورقلة وبجاية والخنقة، وهذا كله يدل على وفرة الكتب في الجزائر حتى في المناطق النائية، كما أن المواطن الجزائري حافظ على تلك المكتبات لما تشكله من وسيلة لنشر التعليم، وشحن أذهان العلماء والمدرسين، ويبدو إن عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالأوضاع الثقافية في الجزائر، لم يمنع الجزائريين من استكمال ما بدؤوه من العلوم الإسلامية والإنسانية، والاهتمام بالمكتبات وثرائها بالكتب والمخطوطات والحفاظ عليها من التلف بحملها إلى أماكن آمنة، وبالتعاون مع العاملين في الجزائر لرفد المدارس والزوايا والجوامع بتلك الكتب المختلفة، والقيام بنسخها يدوياً للنهوض بالواقع السيئ الذي فرض عليهم. (المشهداني ورمضان، 2013، ص 434- 435).

1-انتشار حركه التأليف:

كانت حركة التأليف في هذا العهد نشطة، فلا نكاد نجد عامل إلا وله قائمة من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة وقد تمثل ذلك في الشروح والحواشي والتقاييد والتعاليق والرسائل، ويمكن القول بأن أغلب إنتاج الجزائر خلال هذا العهد، يكاد ينحصر في العلوم الشرعية والصوفية والمجالات الأدبية ورغم أن معظم الإنتاج في العلوم الشرعية كان يفتقر إلى الأصالة فإن كثرة التأليف فيه يبرهن على سيطرة العلوم المذكورة على الحياة الفكرية، ولا شك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كان المنبع الذي يستمد منه الجزائريون كل ألوان تفكيرهم وأنماط حياتهم، وأهم ما تميزت به العلوم الشرعية التقليد والتكرار والحفظ، والفقهاء قلما اجتهدوا بل كانوا يقلدون سابقيهم وفي حديثنا عن الحركة التأليفية لا يمكن أن نستوفي ذكر إنتاج جميع العلماء أثناء العهد العثماني، وذلك لكثرتها وتشعبها (بوعزيز، 2009م، ص 259)، لذلك سنختار نماذج من إنتاج هؤلاء العلماء البارزة في تلك الفترة: اشتهر أبو العباس أحمد المقري بكتابه (نفح الطيب) لأنه كان أول كتاب يتناول الحديث عن الأندلس بالتفصيل،

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، روضة الآس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس.

فتح المتعال في مدح النعال.

الدر الثمين في أمساء الهادي الأمين، وقد بلغت مؤلفات المقري ثمانية وعشرين تأليفا سنة 1628 (بوسيف، 2019، ص91).

ومن مؤلفات ابن الفكون: منشور الهداية، وهو أفضل ما ألفه الفكون في العهد العثماني بالجزائر، وشرح على التعريف في علم التصوف للمكودي (سعد الله، ص 394)، كما ساهم ابن حمادوش في الحركة الثقافية بما ألفه من كتب في ميادين شتى نخص بالذكر أشهرها الجوهر المكنون وكشف الرموز، ومن أعلام تلك الفترة أيضا الشيخ سعيد قدورة الذي ترك موروثًا ثقافيا هاما من حيث التأليف منه: شرح خطبة مختصر خليل في الفقه، وشرح النوازل التلمسانية، وحاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل، وحاشية على شرح صغرى السنوسي، (سعد الله، ص96) ومن جهة أخرى ترك الشيخ الورتيلاني مصنفات هو الآخر نذكر منها: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، وحاشية على السكتاني على السنوسي وحاشية على كتاب المرادي، وقصيدة ميمية في نحو 500 بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، كما ألف أبو راس الناصري ً كتبا عديدة حيث بلغت مؤلفاته نحو مائة واثنني وتلالين تأليفا: فتح الإله في التصوف إلى شرح حكم ابن عطاء الله وزهرة الشماريخ في علم التاريخ، ودرء الشقاوة في حروب الدرقاوة، وعجائب الأسفار ولطائف الأخبار.

الشيخ ابن عمار الذي تنسب له مجموعة من الكتب والرسائل منها: لواء النصر في فضلاء العصر، ونخلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب الرحلة الحجازية، ورسالة في مسألة وقف، بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا من أعالم ومؤلفين نجد أيضا خلال هذه الفترة أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن مريم التلمساني قد ذكرت مؤلفاته في

كتاب البستان وهي إحدى عشرة تأليفا، وكذلك ألف أحمد بن قاسم بن محمد الساسي البوني له مؤلفات عديدة تجاوزت حسب دعواه المائة. (بوسيف، 2019، ص96).

المحاضرة الخامسة

2-الثنائية المذهبية في الجزائر:

لقد عرفت الجزائر قبل التواجد العثماني العديد من المذاهب الفقهية والتي انتشرت في مجالات جغرافية محدودة وفي فترات زمنية متعاقبة، إلا أن المذهب المالكي هو المذهب الذي قدر له الله أن يبقى وينتشر في أصقاع بلاد المغرب العربي دونا عن بقية المذاهب وسنحاول التعرف على هذا المذهب وكيفية انتشاره في بلاد المغرب عموما وفي الجزائر بشكل خاص.

أ- المذهب المالكي:

يقال المذهب وأصل المصطلح مفعل من الذهاب ولغة يعني الطريق ومكان الذهاب، ويقال ذهب القوم مذاهب شتاء أي سلكوا طرائق مختلقة، وذهب الشخص مذهبه وسار في طريقه، وأصبح عند الفقهاء حقيقة عرفيه فيما ذهب اليه إمام من الائمة من الاحكام الاجتهادية، وسمي المذهب المالكي نسبة الى الامام مالك رضي الله عنه وهو ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك الاصبحي شيخ الاسلام ومحدث الامة وإمام دار الهجرة، صاحب الموطأ ولد سنه 93 للهجرة وتوفي سنة 179 ه، والمذهب المالكي ثاني المذاهب الأربعة في القدم بعد المذهب الحنفي ويقال لأصحابه أهل الحديث، اختص الامام مالك بزيادة مدرك اخر للأحكام وهو عمل اهل المدينة، الا انه تجدر الإشارة

الى ان مالك وغيره من ائمه الاجتهاد لم يكونوا يعرفون معنى المذهب وانما كانوا ينشرون علم السنه وفقه الصحابة والتابعين، ولذا قيل ان نسبة المذهب الى اصحابه لا يخلو من تسامح، فما كان مالك ولا غيره من أئمة الحديث يدعون أحدا الى التمسك بمنهجهم في الاجتهاد. (بن سعدي 2018، ص3)

انتشار المذهب المالكي في الجزائر:

ذكر ابن خلدون ان المذهب المالكي انتشر في بلاد المغرب والاندلس وارجع سبب ذلك إلى رحلات الحجاج الى بلاد الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث يقول: وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه اهل المغرب والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل، لما ان رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهي منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الاخذ من علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده، لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم، وكان للمعز بن باديس دور فعال في انتشار المذهب المالكي في الجزائر ما بين سنوات 407 و453 للهجرة وفي استقرار المذهب في المغرب الاوسط وتونس وحمل اهل هذه المناطق عليه، وحسم النزاع بينه وبين المذهب الحنفي الذي كان منتشرا قبله والقضاء على ما بقي من اصول المذهب الشيعي المعروف عن الدولة العبيدية، وقد حاولت دولة الموحدين عندما سيطرت على بلاد المغرب اوائل القرن السادس وخاصه في عهد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن اظهار مذهب الظاهرية الذي نشط اتباعه في تلك الفترة وكانوا يسمون بالحزمية نسبه لأحمد ابن حزم الظاهري مؤسس المذهب، ولقد اقدم يعقوب بن يوسف على حرق الكتب الفقهية للمذهب المالكي، وكان من جمله الكتب التي لحقها الحرق وصارت من الممنوعات مدونة الامام سحنون وكتاب الجامع لمسائل المدونة لابن يونس وكتاب النوادر لابن ابي زيد القيرواني وتهذيب المدونة للبرذاعي، وكتاب الواضحة لعبد الملك بن حبيب، غير ان هذه المحاولات باءت بالفشل واستمرت الغلبة

للفقه المالكي على الشمال الافريقي طيلة اثنتي عشر قرنا ولا تزال الى يومنا هذا، رغم خضوع الجزائر للسلطة العثمانية منذ 1519 إلى غاية 1830. (بن عمراوي، 2018، ص: 13، 14)

ب ـ المذهب الحنفي:

ترجع نشأة المذهب الحنفي إلى أوائل القرن الثاني للهجرة، وتحديدا سنة 691هـ وذلك منذ أن جلس أبو حنيفة النعمان رحمه الله على كرسي الإفتاء والتدريس خلفا لشيخه حماد بن أبي سليمان، والمذهب الحنفي هو أقدم المذاهب الأربعة وكان منشأ المذهب بالكوفة موطن الإمام أبو حنيفة ثم انتشر في سائر بلاد العراق، ويقال لأصحابه أهل الرأي لأن الحديث كان قليلا بالعراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، وقد ساعد على بزوغ فجر مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله إلى جانب ما كان يتمتع به من مواهب فقهية فائقة، فقد انصب اهتمامه على الاجتهاد، فسلك في اجتهاداته منهجا واضحا أسفر عن ظهور فقهه وآرائه وسار على نهجه من التف حوله من الأصحاب والتلاميذ وقد كان له منهاجا واضحا في تفريع المسائل واستنباطها. (المشهداني، 2013، ص 439).

انتشار المذهب الحنفي في الجزائر:

كان الغالب على أهل بلاد المغرب عموما والجزائر خصوصا الآثار والسنن حتى ذهب ابن فروخ أبو محمد الفاسي (172 ه - 788 م) إلى المشرق قصد طلب العلم فأتى بمذهب أبي حنيفة، وقد ذكر ابن فرحون في الديباج أن المذهب الحنفي ظهر ظهورا كثيراً بإفريقية إلى قريب من سنة 400ه وذلك بعد تولي أسد بن فرات القضاء فيها، وقد كان المذهب الحنفي المذهب الرسمي للدولة العباسية فساهم القضاة ورجال الدولة في انتشاره من خلال تنفيذ أحكام القضاء ومختلف التشريعات الفقهية وفق المذهب، وهذا ضمن استراتيجية الخلافة العباسية في خلق تبعية عقدية فعين هارون الرشيد

الإمام أبو يوسف الحنفي قاضي القضاة للدولة في حين تمكن الفقهاء الأحناف من تكييف فتاويهم الدينية مع الظروف المحيطة بالاعتماد على الرأي والقياس، وقد بقي المذهب الحنفي غالبا في بلاد المغرب حتى وصول الدولة العبيدية الشيعية الى بلاد المغرب ثم قيام المعز بن باديس بفرض المذهب المالكي كما أسلفنا. (العيد، 1980، ص 71).

- التعايش المذهبي خلال التواجد العثماني:

لقد كان المذهب الحنفي مذهب السلطة العثمانية فقط ممثلة في الطبقة السياسية والعسكرية الحاكمة والمنتسبين الى الإدارة العثمانية في الجزائر، ولم تفرض السلطة العثمانية المذهب الحنفي على بقيه سكان ولم تضييق على المذهب المالكي بل بالعكس بقي الأهالي محافظين على مذهبهم في معاملاتهم اليومية والفكرية والاجتماعية من بيع وشراء وزواج وطلاق ومنازعات وغيرها، ولم يأخذ الجزائريين بالمذهب الحنفي إلا فيما يخص التحبيس وما يتعلق به من معاملات و طرق استغلال الاملاك الموقوفة، وهذه المسالة ملفته للانتباه حيث تعايش المذهبان داخل الجزائر، تعيش سلم ولم تحدث أي قطيعة بين المذهبين رغم ان الطبقة الحاكمة في البلاد ممثله في الحكام العثمانيين كانت تجل علماء الحنفية على حساب علماء المالكية، حيث كان المفتي والقاضي الحنفي يعين مباشرة من الباب العالي من السلطنة العثمانية في الاناضول ويأتي مع الباشا الجديد، اما في ما يخص القاضي والمفتي الملكي فيقتصر تعيينه على الباشا أو حاكم الجزائر، باستثناء اواخر القرن الثامن عشر حيث اصبحت تعيين المفتي والقاضي الحنفي من اختصاص الباشا أو الداي (سعد الله، 1998، ص 262)، وكانت عائله ابن العنابي أول عائله جزائرية تمارس القضاء والافتاء الحنفي في الجزائر وكان اخر مفتي حنفي في الجزائر العثمانية عند دخول الاحتلال الفرنسي سنه 1830 هو محمد ابن محمود ابن محمد ابن حسين الجزائري العنابي، ويذكر ابو القاسم سعد الله انا اول من مارس الافتاء في العائلة الجد الاكبر حسين بن محمد الذي تولى الافتاء اربع مرات سنه 1737 ميلادي الموافق ل 1150 هجري. (لزغم: 2011، ص126)، وكما سبق وذكرنا أنه طيلة التواجد العثماني في الجزائر لم يقع فرض المذهب الحنفي على السكان

من طرف الإدارة التركية، بل كان لهم الحرية الكاملة في ممارسه حياتهم اليومية واختيار المذهب الذي يرغبون، وبالتالي ظهرت بالجزائر العثمانية مؤسستين دينيتين مختلفتين الحنفية والمالكية، وكذا محكمتين واحدة خاصه بالمذهب المالكي والأخرى خاصة بالمذهب الحنفي وأيضا لإدارة شؤون المساجد المالكية وكذا المساجد الحنفية، حيث كان يوجد 115 مسجد للمالكية، منهم 7 مساجد للمذهب الحنفي، اضافه الى اجتماع المؤسستين داخل مؤسسه شرعيه واحدة متمثلة في المجلس العلمي أو مجلس الشريف الذي يعد أعلى سلطه تشريعيه وقضائية، (سعيدوني: 2009، ص322) ومن مظاهر التعايش بين المذهبين الحنفي والمالكي هو وجود مؤسسات دينية ضمت هيئاتها التعليمية علماء وفقهاء من المذهبين خاصة في مجال التعليم والتدريس، فزيادة على كون الجامع الكبير أو الأعظم المالكي مقرا لهيئة المجلس العلمي المكونة من ممثلين عن المذهبين الحنفي والمالكي فإن مسجد الأحناف المعروف باسم خيضر باشا الذي شيد 1596 م قد ضم هو الآخر هيئة موظفيه مدرس مالكي المذهب، خصص له ارتب شهري مقدر بثلاثين دينار مثله مثل نظيره في المذهب الحنفي، مع تلقيه نفس الهدايا والعطايا التي كان يتلقاها المدرس الحنفي في المناسبات مثل عيدي الفطر والأضحى، كما شملت هيئة موظفي مسجد الجامع الجديد الحنفي مدرس الفقه المالكي وكذلك محمد البكوش ابن السعيد بكوش كان إماما بمسجد كتشاوة الحنفي، ولم يكن علماء الفقه المالكي مناوئين لعلماء المذهب الحنفي بل متسامحين معهم معتبرين مذهبهم مذهبا سنيا، لهذا نجد بعض الأئمة من كبار العلماء والفقهاء المالكية انتقلوا من المذهب المالكي إلى المذهب الحنفي وتولوا مناصب هامة كالإفتاء والقضاء مثل أبو عبد الله بن المسبح القسنطيني قاضي السادة الحنفية بقسنطينة فاستماله الباي عثمان إلى المذهب الحنفي. (بأحمد: 2018، ص193)

3-أهم العلوم السائدة:

إن المطلع على ما جاء به هذا الرحالة وغيره من المؤرخين سيكتشف أن التعليم في الجزائر في هذه الحقبة التاريخية ساده ركود في مناهجه المقررة؛ حيث اقتصر على أشياء بسيطة ومحددة، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

أ. العلوم النقلية: العلوم النقلية كما يعرفها ابن خلدون هي تلك التي تستند إلى:" الخبر عن الواضع الشرعي، وتشمل: التفسير، والقراءات، والحديث، وعلم الفقه، وعلم الفرائض، وعلم أصول الفقه وعلم الكلام وغيرها"، وقد اعتمد في تدريس هذه العلوم على التلقين، كما لم تكن هناك مناهج محددة تنظم كمية المعلومات التي يتلقاها المتعلم، ولم تكن فترة الدراسة محددة بمدة معينة أو سن معين، وإنما كانت مرتبطة بمدى تحقيق الطالب للكفاية العلمية (صليبا، 1982م، ص 100)، فإذا أراد الاستزادة التعمق أكثر في دراسته فعليه التوجه إلى الجامعات الكبرى: الزيتونة، القرويين، بلاد الحجاز، الشام أو بغداد، كما تضمنت إلى جانب العلوم النقلية التأثيرات الأندلسية والأوروبية حيث طوروا ميدان التعليم من قواعد اللغة والأدب والعلوم والموسيقى، أما من أراد تعلم فنون التجارة والطب فعليه التوجه إلى أوروبا حيث أشار شيمبر إلى جانب هذا هناك من سافر إلى فرنسا وإنجلترا (المشهداني، 2013، ص 443).

ب. العلوم العقلية: هي تلك العلوم المرتبطة بأحكام العقل، فهي "طبيعية للإنسان من حيث وهو ذو فكر، تسمى العلوم الحكمي، وقد كانت المدرسة الجزائرية تفتقر لهذا النوع من العلوم (صليبا، 1982، ص 414)، "إذ يؤكد المؤرخون أن اللغات والعلوم العقلية والفنون لم تكن متاحة في الجزائر كسائر البقاع التي كانت تحت راية الدولة العثمانية، لكن في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر بدأ ظهور بعض مقررات المواد العلمية، قد ساعد على ذلك أن العثمانيين خلال هذا العهد رغبوا في توسيع شبكة التعليم بإنشاء المدارس، لكن ذلك لم يواكب التطور الحضاري الذي عرفته أوروبا، وعليه كان على من يرغب في دراسة العلوم العقلية السفر إلى حواضر أوروبا كالذهاب إلى ليفورنو بإيطاليا لدراسة الطب، وإلى بريطانيا أو فرنسا لاكتساب المعارف الأوروبية في مختلف الميادين.

المحاضرة السادسة

4- التصوف:

- نشأة التصوف وانتشاره في الجزائر

بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظريا، ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري واتجه إلى الناحية العملية وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية والمناطق المحيطة بها، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن فلقد انطلق منها رجالات

التصوف الكبار من أمثال أبو زكريا الزواوي وأبو زكريا السطيفي ويحيى العيدلي والشيخ أبي مدين الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان وتوفي 595هـ ، 1197م ومنها انتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى.

وقد كان الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أحد أوائل وأوتاد الطريقة الصوفية في الجزائر وقد عرفت طريقة "المدينية " شهرة واسعة وأتباعا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي وازدادت شهرته على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش (665هـ) ثم تطورت وأحياها من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش "أبو الحسن الشاذلي" نسبة إلى قرية شاذلية بتونش وتوفي بأرض الحجاز سنة 655هـ، وكان لتعاليم الشاذلي تأثير مهم في الجزائر بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن(سعد الله، 1998، ص 230)، تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي(سعد الله، 1998، ص 465) وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ، وبذلك أخذ التصوف يدخل من شرق الجزائر ومن غربها وترجع عوامل وأسباب انتشار التصوف وطرقه بالجزائر إلى عدة أسباب منها ما هو فكري وما هو سياسي وما هو اجتماعي ونلخص هذه الأسباب والعوامل فيما يلي:

أ) **عوامل فكرية:** وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف وطرقه بكامل المغرب الإسلامي، أثروا بسلوكهم وبعملهم وبمؤلفاتهم على المجتمع الجزائري وتوارثه أبا عن جد فلقد ولد رجال متصوفين بارزين في الجزائر وفي المغرب وولد احترام العامة والخاصة لهم. فنجد من بينهم أحمد بن يوسف الراشدي بعين مليانة عام 937هـ / 1520م ومحمد أفغول وعبد الرحمان الثعالبي، ومحمد التواتي البجائي، وشعيب السنوسي والشيخ أبو مدين ويضاف إلى كل ما سبق تأثير كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة.

ب) **عوامل سياسية:** ومن بينها سقوط الأندلس وبذلك هجرة كثيرة من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية واحتكاكهم بالمتصوفين هناك ونشر أفكارهم في الوسط الجزائري، الأمر الثاني هو سقوط الدولة الموحدية والتي كانت تمثل دولة قوية في وجه مواجهة الغزو الإسباني ولأسباب عدة منها الداخلية وأسباب خارجية تدهورت وضعفت (بوناني، 2000، ص 123) .

ت) **عوامل اجتماعية:** انتشار الترف والبذخ عند عدة فئات من الجتمع وهذا نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف مما انعكس على انتشار طرقهم . ظهرت الزوايا في المغرب العربي منذ القرن السادس الهجري و 13م حيث حلت تدريجيا محل الرباط ثم تطورت مهامها وتوسعت على يد المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية وجمعت بين العبادة والتعليم والتوجيه والإصلاح والجهاد في وقت واحد.

ب- نشأة الزوايا بالمغرب العربي عامة والجزائر بالخصوص:

يرجع الفضل في نشأة الزوايا بالخصوص إلى حكمة شيوخها الذين أخذوا في حسبانهم البعد المكاني وهذا لتغطية المناطق المفتقرة إلى العلم والإرشاد، ففي السابق لم تعرف الزاوية كما هي عليه ففي البادئ ظهرت في المشرق العربي على شكل بيوت كانت ملحقة بالمساجد وكان يتردد عليها العباد والزهاد للانزواء والخلوة فيها، ثم تطورت وظهرت على شكل أبنية على أطراف المدن كمصليات صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات .أما في المغرب العربي فقد عرفت الزاوية تطورا بداية من القرن 13 ميلادي حيث أنشئت الزوايا بهدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها مما ساعد على صدها للغزاة على مر العصور، بدءا بالبرتغاليين ثم الإسبان ومن بعدهم الفرنسيين والايطاليين وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومريديها ضد الغزاة الأجنب أما في زمن الحرب فكان لهدف من تلك الزوايا هو

القيام بأداء رسالتها الدينية الحضارية التعليمية والتربوية، كانت مؤسسة من طرف مشايخ فضلاء، ورجال متصوفة، وعلماء عارفين بالله. قصدهم وجهه عز وجل ـ لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا (نسيب، 1989، ص38)

لقد انتشرت الزوايا بالمغرب العربي بعد القرن 13 ميلادي انتشارا واسعا فهي في المدن والقرى والأرياف، على قمم الجبال وفي أعماق الصحراء وعلى السواحل في الرباطات والمنارات حيث التجأ إليها وأقام بها أناس وطنوا أنفسهم لعبادة الله كانوا فيها حريصين على أمور المسلمين واتبعوا الحديث الشريف للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) أما في الجزائر فلقد عرفت عددا هاما من الزوايا أدت دورها على أكما وجه وأحسن صورة وانتشرت انتشارا واضحا، سواء في الأرياف أو في المدن، وعمت كل جهات الوطن تقريبا خاصة الجهة الغربية والوسطى. كما انتشرت في منطقة القبائل انتشارا كبيرا خصوصا بعد الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية .لقد سجلت الزوايا القرآنية صفحة تاريخية مهمة في الجزائر وتاريخها السياسي والثقافي والديني يبث هذا على الدور العظيم الذي قدمته الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع الجزائري منذ نشأتها. فالجزائر لم تعرف الزوايا إلا بعد القرن الخامس الهجري. ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها وخاصة خلال القرن العاشر الهجري بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية .إن أقدم زاوية تأسست في الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن (06هـ ـ 13م) ثم انتشرت الزوايا عبر أنحاء البلاد خاصة خلال القرنين (08هـ ـ 15م) والقرن (09 هـ ـ 16م .(وكان لسقوط الأندلس والاحتلال الإسباني والفراغ الإداري واستيعاب السكان لتقبل أي حركة روحية إسلامية لكل ذلك أثر بالغ في انتشار الزوايا. وفي القرن الثامن الهجري (08 ه ـ14م) انتشرت الزوايا في المغرب وأنشأت بها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعليم الدين ومبادئ العلوم، الأمر الذي أدى بملوك بني مرين إلى

أن يطوروا الكتاتيب إلى مدارس وكليات ليساهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القيروان بفاس وغيرها من مدارس الزوايا في داخلها وخارجها (المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2002، ص 54)

لقد عرفت الزوايا في المغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم، وبقية الزوار الذين يقصدونها للاستفتاء والإصلاح بين المتخاصمين. فلقد كانت مسجدا ومدرسة ومعهد للتعليم القرآني والديني ومأوى للطلبة يشبعون في تلك الزاوية بدون مقابل. وهي الطهر والتقوى والإصلاح، وهي زوايا الحماية الخلقية والحصانة الإيمانية، هي زوايا النصر، القوة والخير المستمر، لقد كانت الزاوية تسمى بدار الضيوف وقيل أيضا عرفت بعد القرن (05هـ) وسميت في بادئ الأمر بدار الكرامة (نسيب، 1998، ص 30) كالتي بناها الملك يعقوب المنصور الموحدي في مراكش، بالإضافة إلى هذا فالزوايا كانت عبارة عن مكان يجد فيه المسلمين المريدون الفكرة الدينية التي من خصائصها الجهاد الدائم ضد الكفار (الغزاة) ونذكر من بينهم السنوسية في ليبيا ضد الايطاليين، المهدية في السودان ضد الإنجليز، والتيجانية ضد الفرنسيين، والإنجليز في إفريقيا السوداء وفي الجزائر حيث كانت القادرية تحت قيادة الأمير عبد القادر والرحمانية تحت قيادة الشيخ الحداد وأولاد سيدي الشيخ في الجنوب الوهراني وغيرها.

إن الزوايا في الأرياف يعود تأسيسها إلى أتباع المرابطين ولقد أدت الزاوية في الريف دورا أكثر إيجابية منها في المدينة فكانت رباطات ونقاط أساسية ضد الأعداء فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد.

المحاضرة السابعة

- الزوايا:

أ- مفهوم الزاوية ونشأتها:

يشير التعريف اللغوي للزاوية «بأنها مشتقة من فعل انزوى بمعنى ابتعد وانعزل وسميت كذلك لأن اللذين فكروا في بناءها أوّل مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء الذي يساعد على التأمل والرياضة الروحية» (باشيخ، 1982، ص 92)

وقد اعتبر بعض المهتمين بالجانب الثقافي والديني في الجزائر أن الزاوية هي عبارة عن «مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي...شيدت قبابها على أضرحة الأولياء الصالحين أو بُنيت تخليدا لذكراهم، أما عن تسمية الزاوية فهناك من يرى أنها جاءت إما لانزوائها عن المدينة باعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية، أو لأن وجودها كان دوما في أطراف المدينة أو ركن منزوي بها وهي تشبه المدرسة أو الدير» (مريوش، 2007، ص 149)

نجد وكأن الأصل في بداية ظهور الزاوية كان لحاجة الانزواء فسميت على هذا المسمى أي على مسمى الانزواء، ثم أننا في هذا الإطار صادفنا الكثيرين ممن يربطون مفهوم الزاوية بالرباط وكأن أصل الزوايا هو هذه الرباطات على اعتبار أن كلمة الرباطات

مشتقة من رباط الخيل التي وردت في الآية الكريمة: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُم مَا ٱسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَ ٱللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُم ٱللهُ يَعْلَمُهُمْ وَ مَا تُنْفِقُواْ مِن شَيءٍ فِي سَبِيلِ ٱللهِ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنفال ، الآية 60)

ومن الرباطات أيضا يقول رابط الجيش في الثغر، أي أقام فيه للحماية والمدافعة وسميت الإقامة في الثغور مرابطة ومنها اشتهر في المغرب المرابطون والرباط في الإسلام شعبة من شعب الجهاد في سبيل الله (السحمراني، 1987، ص 149)

«فالرباطات قامت أساسا في الثغور وأماكن الخطر التي يهجم منها الأعداء، وهكذا كانت الرباطات قلاعا وحصونا لمنع الخطر الأجنبي، وكان المرابطون هم المجاهدون اللذين يحمون الثغور ويتصدون للأعداء، وبعد تولي العثمانيين الدفاع على الثغور انحصر نشاط المرابطين في أعمال البر والتعليم وإصلاح ذات البّين وتأمين الطرق وقد بنوا لأنفسهم أو بنى لهم الناس زوايا بدل الرباطات أو تحولت الرباطات إلى زوايا»

من ذلك فبعض الزوايا كانت في الأساس رباطا، ولكن ليس كل الزوايا كان لها نفس هذا المنحى فهناك من بنيت منذ البداية زاويةً ولم تقم على أساس أنها رباط.

وقد ذكر «دوماس» عام 1847 في كتابه «منطقة القبائل» تعريفا لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال « إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة تحتوي عادة على مصلى، وغرفة لتلاوة القرآن، ومدرسة لتحفيظ القرآن، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تضم غرفة ومراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية » (باشيخ، 1982، ص 96)

فالزوايا هي مؤسسة لها طابع ديني واجتماعي وتربوي وأحيانا سياسي، وتعتبر مكانا للعبادة وتقديم المساعدات والتعليم.

- **نشأة الزوايا:** ترجع الجذور الأولى للزوايا إلى ظهور التصوف في الإسلام والمرابطة على الثغور في سبيل الله، فأما بالنسبة للتصوف فالكلمة لها عدة معاني اختلف بشأن مصدرها، حيث يرى البعض أنها مشتقة من الصفاء الذي يعني صفاء السريرة ونقاوتها، أو من الصفة، في حين يرجع البعض الآخر اشتقاقها من الصوف، نسبة إلى إقبال المتصوفة على الملابس الصوفية. (الباشا، 1987، ص 72)

ب- وظائف الزوايا:

إن الزاوية كأي مؤسسة في المجتمع قيامها في الأساس ناتج لتغطية حاجات اجتماعية معينة هذه الحاجات التي تتبلور في شكل وظائف ترى الزاوية أن عليها تأديتها اتجاه المجتمع عموما والأفراد المقبلين إليها خصوصا وهذه الوظائف تتمثل فيما يلي:

الوظيفة الدينية:

تعد الوظيفة الدينية في الزوايا من الوظائف المحورية لها فقد «بلورة الزوايا حياة دينية جماعية منظمة بإحكام وشكلا من التقوى المنهجية الرامية إلى الخلاص المستقبلي... فلطالما كانت الزوايا أماكن سامية للروحانيات الإسلامية وقد ساهمت في إشاعة إحساس ديني قوي من باب الحرص الدائم على السمو الأخلاقي في الأوساط الإسلامية» (الشهبي، 1987، 2007، ص 13،14)

ومع هذا التطور الذي حصل في مفهوم التصوف، برزت بنايات خاصة بالمتصوفة عرفت بالخانقاه، وكان ظهورها في حوالي سنة 400 هجري الموافق ل 1000 للميلاد بإيران، ثم انتشرت بعد ذلك بصورة واسعة على يد السلاجقة الذين وقفوا في وجه المد الشيعي بالعراق والشام، وشيدوا العديد من الخانقاوات ليقيم فيها المتصوفة وينشرون المذاهب السنية بين أوساط الناس، وفي نفس الوقت شجع الفاطميون الناس على التصوف، وكان لهم مكان مخصص بالقرافة بالقاهرة، ولما قضى صالح الدين الأيوبي على ملك هذه الدولة عمل هو الآخر على محو التشيع من مصر والشام، فانشأ الخانقاوات وأوقف عليها أموالا وعقارات، واتبعه بعد ذلك خلفاؤه من بني أيوب، ومن

بعدهم المماليك، أما في المغرب الإسلامي فان أول ما ظهر هو الرباط، ونجد في الحديث النبوي الشريف في أحاديث كثيرة منها: رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها.

وقد أطلق هذا المصطلح على الحصون التي تبنى على الحدود، أو ما يعرف بالثغور التي تفصل بين البلاد الإسلامية وبلاد العدو، وقد كان ظهور هذه الأربطة خلال القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي على سواحل أفريقية، وكانت عبارة عن بناية ذات حصانة ومنعة، تعلوها أبراج للمراقبة، وتقطنه حاميات من الجند المطوعين، وعادة ما يصطحب هؤلاء الجنود أسرهم معهم، ويزاولون أعمالهم اليومية بصورة طبيعية لكسب أوقاتهم وأرزاقهم، دون الطمع في اجر أو هبة من الأمراء والحكام، ودون أن يلهيهم ذلك عن الاستعداد للحرب كلما دعا إليها داعي، لقد كانت هذه الأربطة ذات وظيفة عسكرية لتحمي ثغور المسلمين، وصد الأعداء عنها، ووظيفة روحية، حيث كان يلتقي فيها أناس زهدوا مما في الدنيا وقدموا أنفسهم فداء للإسلام والمسلمين دون طمع أو قهر، بل رغبة صادقة وإخلاص تام، واستجابة لدعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكانت تتوزع أوقاتهم في هذه الأربطة على عدة أشغال، كالحراسة والتدرب والتمرن على القتال، وفي العمل لكسب الرزق، والعبادة والتقرب إلى الله ومع تغير المعطيات السياسية واستقرار أحوال المغرب والسواحل على الخصوص من الهجمات الصليبية، تحولت الرباطات فيما بعد إلى رابطة، وقد عرفت هذه الأخيرة فضلا عن استمرار الوظيفة الحربية التي كان يقوم بها الرباط بروز الوظيفة الروحية أكثر مما مضى، حيث أصبحت الرابطات تستهوي المتصوفة والزهاد، وقد وجدوا فيها مبتغاهم ولعل أولى الرابطات التي عرفها المغرب الأوسط (الجزائر)، رابطه عبد السلام التونسي في تلمسان ورابطة ابن الزيات ببجاية، وكانت وظيفة هذه الرابطات تتمثل في الانقطاع للعبادة والالتقاء بالطلبة، وتلقينهم علوم التصوف والدين عامة، ثم أخذت الرابطة في التطور، وأصبح في جملة وظائفها السابقة إعالة الطلبة المقيمين

فيها، كما كان الحال في رابطه ابي محمد عبد الكريم بن عبدالملك المعروف بابن يبكي، التي كانت لها أوقاف ينفق منها.

الوظيفة الاجتماعية:

فمن المشهور عن الزوايا تبنيها للجانب الاجتماعي بأساليب مختلفة «فقد اضطلعت الزوايا الجزائرية مثلا بدور اجتماعي لا يستهان به ...فقد كان بعض المرابطين بمثابة بركة بالنسبة لقبيلتهم أو دوارهم في فترة كانت فيها الساكنة الإسلامية للأرياف غير مسيَرة كما ينبغي، و عرضة لتعسف الأقوياء اللذين سعت الزوايا إلى تلقينهم مبادئ الأخلاق الاجتماعية الضرورية القائمة على احترام الكبير وإكرام الغريب، وحب المساواة وغيرها...» (مراد، 1999، ص 74)

الوظائف التربوية والتعليمية:

فالزاوية مؤسسة تربوية تعليمية بلا منازع سواء في هيكلتها التي تضم قاعات خاصة بالتدريس، أو في مواردها البشرية التي تضم طلاب وشيوخ للتدريس أو حتى في برامجها التي تركز على حفظ الكتاب والسنة وعلوم الشريعة عموما.

«وتعد التربية الدينية والتوجه القرآني من أولى اهتمامات الزوايا في العملية التربوية وذلك بغرض عدل السلوك ...وتحقيق استقرار نفوس المراهقين وتهذيبهم بالقيم القرآنية ...الأمر الذي سينعكس على تصرفهم اليومي ...كما أنه في المجال التعليمي أيضا نجد أن التربية المدنية أخذت قسطا وافرا من التكوين في الزوايا فالطالب يسير على نظام داخل الزاوية مضبوط جدا بجملة من القوانين كاحترام الوقت والمواعيد، وأداء الفرائض وتقديم الخدمات داخل الزاوية وغرس قيم العمل التطوعي وغيرها...» (باشيخ، 1982، ص 97)

الوظيفة الجهادية:

إن استقلال الجزائر مدين للزوايا في هذا الصوب، فكثيرا ما كانت تتبنى ثورات ضد المحتل الفرنسي «فقد كان للزوايا وظائف أساسية في هذا المجال أي مجال الجهاد منها أنها أصبحت ملجأ للفقراء والمضطهدين ...كما كانت تقوم بتعبئتهم وتحفيزهم إيديولوجيا الأمر الذي جعل منها باعثة للصبر والأمل، ومحركاً للعديد من التمردات والثورات وهي بذلك حافظت على التراث والثقافة العربية الإسلامية بالتحول إلى مراكز ثقافية ومعاهد علمية» (مكحلي، 2007، ص 277)

وقد انتهت هذه الوظيفة بأخذ الجزائر لاستقلالها وأصبح التركيز على الوظائف الأخرى السابقة الذكر أعلاه.

المحاضرة الثامنة:

ج- أنواع الزوايا في المجتمع الجزائري:

لمعرفة أنواع الزوايا اتبع الباحثون والكتاب عدة مؤشرات وذلك حسب الانتساب الذي تنتمي إليه هذه الزوايا وكذلك المكان أو الموقع الذي تقع فيه وكذلك حسب الأدوار والوظائف التي تقوم:

أولا - أنواع الزوايا من حيث الانتساب :من حيث الانتساب فالزوايا تنقسم إلى:

زوايا المرابطين: فهي للطلبة ونشر العلم واستقبال الغرباء والبؤساء والمحرومين الذين يبحثون عن ملجأ أو هي مكان للزوار الذين يأتون لتقديم التبرعات والصدقات. كما أن زوايا هذا النوع ليس لها طريقة صوفية تتبعها ومريدين تابعين. فالمرابطون فيها يعملون دون مقابل على الرغم من فقرهم واحتياجاتهم (بوناني، 2000، ص53)

زوايا الطرق الصوفية: وهي قد تكون زاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، حيث يكون الشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر في كل شيء والطريقة لها مريدون وأتباع هم الذين يقومون بتموين الزاوية. أما في حالة وفاة الشيخ فالخلافة تكون عن طريق الوصاية التي يتركها الشيخ أو تختاره عائلة الشيخ وفق شروط خاصة .**الزوايا المنسوبة:** وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحيي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنتسب إليه وفي هذه الحالة تأتي العامة إلى هذه الزاوية زائرة وطالبة للبركة لا للعلم والإحسان أي زيارة الأضرحة (سعد الله، 1998، ص 26).

ثانيا : أنواع الزوايا من حيث الموقع : هناك من العلماء من يفرق بين نوعين من الزوايا وهي زوايا الأرياف وزوايا المدن **زوايا الأرياف:** تكون مبنية حول قبر المرابط غير معروف كثيرا، ويوجد القبر في مكان تقطنه إحدى القبائل وفي هذا المكان أحفاد المرابط. وهذا النجمع يطلق عليه زاوية وتكون لهذه الزاوية أوقاف كبيرة من أراضي وبساتين تطعم منها الفقراء والضيوف وحق الزاوية هو العشر (العشور) ومن العادة أن القائم على الزاوية هو حفيد المرابط ومن احتمى بها فهو أمن ومن مهامها التعليم ولا يقوم المرابطون ولا أحفادهم بالأعمال اليدوية لأنهم مختصون في التعليم وتربية الأطفال.

زوايا المدن : فالزاوية عبارة عن بناية كبيرة لإيواء المشردين والطلبة والعلماء الغرباء، وتتوفر فيها الإضاءة والماء وقد تصبح الزاوية مدرسة عليا إذ تخصص لها ويلحق بها مدرس شهير لتدريس العلوم العالية وتحمل الزاوية اسم مؤسسها أو الحي الموجودة فيه . وأحيانا اسم مرابط التابعة له (سعد الله، 1998، ص 233)

الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد.

وتنقسم الزوايا حسب عدة مؤشرات وذلك حسب الانتساب الذي تنتمي إليه هذه الزوايا وكذلك المكان أو الموقع الذي تقع فيه وكذلك حسب الأدوار والوظائف التي تقوم بها:

أنواع الزوايا:

أولا : أنواع الزوايا من حيث الانتساب : من حيث الانتساب فالزوايا تنقسم إلى : زوايا المرابطين : فهي للطلبة ونشر العلم واستقبال الغرباء والبؤساء والمحرومين الذين يبحثون عن ملجأ أو هي مكان للزوار الذين يأتون لتقديم التبرعات والصدقات، كما أن زوايا هذا النوع ليس لها طريقة صوفية تتبعها ومريدين تابعين، فالمرابطون فيها يعملون دون مقابل على الرغم من فقرهم واحتياجاتهم .(بوناني، 2000، ص67)

زوايا الطرق الصوفية: وهي قد تكون زاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، حيث يكون الشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر في كل شيء والطريقة لها مريدون وأتباع هم الذين يقومون بتموين الزاوية . أما في حالة وفاة الشيخ فالخلافة تكون عن طريق الوصاية التي يتركها الشيخ أو تختاره عائلة الشيخ وفق شروط خاصة (سعد الله، 1998، ص 249).

الزوايا المنسوبة : وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحيي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنتسب إليه وفي هذه الحالة تأتي العامة إلى هذه الزاوية زائرة وطالبة للبركة لا للعلم والإحسان أي زيارة الأضرحة

ثانيا : أنواع الزوايا من حيث الموقع: هناك من العلماء من يفرق بين نوعين من الزوايا وهي زوايا الأرياف وزوايا المدن.

زوايا الأرياف: تكون مبنية حول قبر المرابط غير معروف كثيرا . ويوجد القبر في مكان تقطنه إحدى القبائل وفي هذا المكان أحفاد المرابط . وهذا التجمع يطلق عليه زاوية وتكون لهذه الزاوية أوقاف كبيرة من أراضي وبساتين تطعم منها الفقراء والضيوف وحق الزاوية هو العشر (العشور) ومن العادة أن القائم على الزاوية هو حفيد المرابط ومن احتمى ا فهو أمن ومن مهامها التعليم ولا يقوم المرابطون ولا أحفادهم بالأعمال اليدوية لأنهم مختصون في التعليم وتربية الأطفال.

زوايا المدن : فالزاوية عبارة عن بناية كبيرة لإيواء المشردين والطلبة والعلماء الغرباء ، وتتوفر فيها الإضاءة والماء وقد تصبح الزاوية مدرسة عليا إذ تخصص لها ويلحق ا مدرس شهير لتدريس العلوم العالية وتحمل الزاوية اسم مؤسسها أو الحي الموجودة فيه . وأحيانا اسم مرابط التابعة له .

ثالثا : أنواع الزوايا من حيث الدور الذي تقدمه:

زوايا العلم: وهي من الزوايا التي أسست لممارسة النشاط التعليمي مثل الاعتناء بتحفيظ القرآن وتعليم الطلبة ما يلزمهم من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية ونشر القيم والفضائل الإسلامية. ومن هنا فالتعليم بهذه الزوايا وإن كان بسيطا مقصورا على الدين والأخلاق واللغة العربية فإن له أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد المسلم، فالتربية هي أرضية التعليم والسلوك القويم لأهل طرق التربية والتعليم لذلك حرص شيوخ هذا النوع من الزوايا كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم كما عملت أيضا على إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة وكانت أيضا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم ، الفنون وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالنسخ والنقل والتأليف والجمع ونشر

الدين الإسلامي في الأماكن التي يصلون إليها (نسيب، 1998، ص 78)، خاصة الأقاليم الصحراوية النائية ـ

زوايا الشعوذة والخرافة: وتتمثل في بعض الزوايا التي أدت الدور السلبي الذي يبدو جليا في تلك الأعمال التي تجري في معظمها من الرقص وما يتبعه من التصفيق وضرب الدفوف واللعب بالنار والبدع التي أحدثتها ومازالت تحدثها في الدين وهذا الجانب هو الجانب المعيب فيها . هذا النوع من الزوايا هو الذي جلب إلى الزوايا الصالحة الأذى والتجني عليها فأصبح في ذهن الكثير من عموم الشعب أن لفظة زاوية تعني مزيجا من الرهبانية ومن فلكلور مكن الأجهزة والشخصيات ومن سحر وشعوذة لا طائل من ورائها سوى شد الإنسان إلى الوراء، ومن الأمور السلبية أيضا احترام الخلافات والخصومات بين بعض شيوخ هذه الزوايا وفي الزاوية نفسها حول بعض القضايا الهامشية وفي بعض الأحيان في أغراض شخصية حول النفوذ والمكانة الاجتماعية وامتداد هذا الخلاف إلى الأتباع والمريدين ، بالإضافة إلى استسلام وتواطؤ بعض شيوخ الزوايا.

إن تعدد الزوايا بالجزائر سمح بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاثة أنواع من الزوايا وهي : زوايا المشايخ ـ زوايا المرابطين ـ زوايا الطلبة .

النوع الأول : زوايا المشايخ : وهذا النوع من الزوايا يعتبر ملكية خاصة لشيخ ويتصرف فيها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي . وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب طريقة، ويعرف عندنا بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد أي الميثاق، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون ويسمون الإخوان، والزاوية تقوم على أكتاف هؤلاء المريدون والمحسنين الذين هم يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب، ويقدمونها للشيخ والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته . وهو صاحب الحل والعقد، فلا حق لأي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية من قريب أو من بعيد . فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها

أو يراقبه، وهو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجاتهم اللازمة، كما يدفع أجر الشيخ (أي المعلم) وهو صاحب الزاوية هو الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة (نسيب، 1998، ص 91)، وكل شيء يخضع للتقليد الزاوية فإذا مات الشيخ استخلف بأحد أفراد عائلته أخاه أو ابنه . . إما عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة وترشحه لمنصب الطريقة ويخلف الشيخ الراحل، وذلك حسب تقاليد الأسرة وعلى سبيل المثال نجد من زوايا المشايخ في الجزائر زاوية علي بن عمر بطولقة ، زاوية الهامل القاسمية ببوسعادة وزاوية الحملاوي بقسنطينة وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار . -

النوع الثاني : زوايا المرابطين: فهي ملكية جماعية، فمواردها محبسة عن طلبات العلم فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية لا حق لهم أن يأخذوا شيئا من الأموال من زاوية جدهم والزكاة والصدقات والتبرعات والنذر والهبات سواء كانت نقود أو حيوانات هي للزاوية وحق لطلبة العلم والفقراء الذين يقصدون الزاوية ، كما أن زوايا المرابطين ليس لها طريقة صوفية ولا مريدون كزوايا المشايخ (بوناني، 2000، ص53).

النوع الثالث: زوايا الطلبة : وهذا النموذج الوحيد من زوايا نجده في زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي التي تقع في عرش إيلولة دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو وأسست عام 1635، إن هذه الزاوية تختلف عما سبقها فطلبتها يتمتعون بالاستقلال التام في تسيير شؤون مؤسستهم فلا يتدخل أحد فيها . والطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتدبير شؤونها داخليا وخارجيا ، علميا واقتصاديا والزاوية تكون بعيدة عن أي نوع من الضغوطات أو التدخلات ، فهي تسير من طرف طلبتها ولا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى للشيخ الذي يعلم فيها . فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويمتثلون له ولا يخالفونه إنما هو القانون أي قانون الزاوية أو ما يمكن أن يطلق عليه باسم اللائحة الداخلية للزاوية (سعد الله، 1998، ص 241)، كما تنقسم الزوايا حسب التسمية إلى ثلاثة أنواع : - زاوية تنسب إلى شخص ميت تقدره الناحية عادة ما يكون شيخ طريقة

.ـ زاوية تنسب إلى الطريقة الصوفية .ـ زاوية تنسب إلى مكان وجودها وهي ما تعرف بالزوايا المطلقة .

المحاضرة التاسعة:

د- دور الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر:

دور الزوايا أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر: كانت الزوايا إحدى أهم النقاط التي انشغل بها الاستعمار الفرنسي نتيجة الدور الوطني الذي كانت هذه المؤسسات تلعبه قبل وخلال الثورة التحريرية، فعلاوة على كونها تلقن تعاليم الدين الإسلامي فإن أئمتها أنذاك كانوا حلقة مهمة في ثورتهم ضد المستعمر وذلك بإعداد الطلبة لخدمة القضية الوطنية حيث التحق العديد من طلبة الزوايا بصفوف الثوار وأمام هذا الدور الكبير للزوايا لم يتردد الاستعمار في تدمير أغلبيتها وغلق عدد آخر منها وتحويل عدد أخر إلى ثكنات عسكرية تابعة للجيش الفرنسي كما ذاق لمشايخ الزوايا أقسى أنواع التعذيب ووصل الأمر إلى إعدام بعضهم (نسيب، 1998، ص 81) ورغم ذلك لم يستطع الحد من نشاطها مما جعل الأبواب مغلقة في وجهه والطرق مسدودة أمامه ولم يجد منفذ يتسرب منه إلى داخل الأمة المعتصمة بالقرآن والمتمسكة بالإسلام وفكر مرة أخرى كعادته في ضرب زاوية القرآن والثقافة الإسلامية وعمل على طمسها وتشو يه سمعتها، ثم

القضاء عليها بطرق الحيل والدس والمكر والخداع فاستولى أولا على أموال الأوقاف والأحباس وقطع عنها كل موارد الرزق وجميع المساعدات ضنا منه أن هذه الطريقة سيقضي عليها ، ومن جهة أخرى استعمل أساليب الترغيب لكسب ودها والتحكم فيها فأصدر مرسوم في 12 يونيو 1906م يقضي بصرف منحة تشجيعية شهرية قدرها 300 فرنك قديم لكل شيخ زاوية أو كتاب يأمر طلابه بتخصيص ساعتين لتعليم اللغة الفرنسية، ورغم الظروف الصعبة لم يتقدم أي شخص للاستفادة وبالتالي ولد المرسوم ميت . بلا شك ولأنه أدرك مدى خطورة هذه المؤسسات ومدى أهميتها في حالة استغلالها أمرة السلطات الفرنسية بجمع كل المعلومات عن المدارس القرآنية التي تثبت مذاهب دينية ومواقف سياسية وعن المشايخ الذين يتولون التدريس فيها ومعرفة أصولهم ومواردهم ومدى نفوذهم وعلاقتهم بمشايخهم وانتشارهم الجغرافي (دودو، 1998، ص29)، ورغم ذلك فإن معظم الثورات والانتفاضات الشعبية كانت تنطلق من هذه الزوايا في ذلك الوقت . فعمد بطريقة أخرى إلى تشويه وتزييف الحقائق وأراد أن يشجع ذوي النفوس الخبيثة والضمائر الميتة والعقول المريضة على إنشاء أوكار الفساد في القرى والمدن يسمونها زوايا البندير والزرادى، زوايا المنا كر والضلالة لتسهر على بث الصراعات والانشقاقات (نسيب، 1998، ص 78)

لقد كان أهم ما قامت به الزوايا هو المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء الجزائريين كتابة ورسما وتلاوة وتجويدا، حتى لا تمتد إليه يد التحريف والتغيير ويتلى في الصباح والمساء في المساجد والبيوت فردا وجماعة . الزوايا أثناء الاستعمار الفرنسي لعبت دورا بارزا فقد كانت المصدر الرئيسي الذي مون الثورة بالمجاهدين فبعض الزوايا التحق جل أعضائها بالجهاد بحيث كانت مركزا استراتيجيا . فالزوايا على اختلاف طرقها من الرحمانية إلى التيجانية إلى القادرية كلها كانت تصب في وعاء واحد وهو الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية عكس ما كان يعتبره بعض المؤرخين وعلى رأسهم لويس رين الذي كان يرى أن حركة الإخوان بأنها حرب دينية مبنية على التعصب الديني والعرقي وكان يقصد بذلك حركة الإخوان الرحمانيين

آنذاك ونشاطهم بكثرة وامتداد ثورتهم إلى كل المناطق تقريبا والقبائل الشمالية من الجزائر العاصمة إلى القل و جيجل و باتنة ، وحصار مراكز الفرنسيين وقلاعهم في بجاية ودلس وتيزي وزو في 1865م الأمر الذي أصبح يمثل خطرا كبيرا على فرنسا حين أدركت أن ما يقوم به الإخوان الرحمانيين الذين استطاعوا خلال مدة زمنية قصيرة تكوين جيش يمثل أكثر من 120 ألف مجاهد ينتمون إلى 250 قبيلة تتألف من 600 ألف نسمة . ليس الشعوذة أو التعصب الديني أو العرقي وإعلان شيوخ الزوايا وأتباعهم للجهاد وإقدامهم المعركة لا يمثل حدثا دينيا فقط وإنما يتجاوز ذلك إلى غرض سياسي يستهدف خدمة مصالح الشعب المادية والمعنوية (سعد الله، 1998، ص 244)، لقد كان وراء هذه الثورات شبكة تابعة للزوايا التي ينتشر أتباعها وخلاياها في أصقاع البلاد مما أملى على السلطات الفرنسية آنذاك ضرورة دراسة هذه الخلايا من الزوايا ولفهم هذا الواقع قام العديد من الباحثين بدراسة واقع الشعب الجزائري لمعرفة أسباب ودوافع هاته المقاومات وهذا التحدي (سعد الله، 1998، ص 244)، وأول دراسة قام بها في الميدان هو دونوفو حيث ألف كتابه بعنوان (الإخوان ـ الطرق الدينية عند مسلمين الجزائر عام 1845م) وقد أظهر عدة نتائج توضح خطر هاته المراكز الدينية والطرق الصوفية . لقد لقيت الزوايا دراسة مستقيضة من المستعمر قصد محاربتها ومحو آثارها في كل الجوانب الفكرية والسياسية والجهادية . ومحاولة القضاء على دورها الاجتماعي والتربوي واحتوائها إلا أن هذه السياسة لم تنجح بشكل عام وعرف المجتمع الجزائري أن مصيره مرتبط بمصير هاته الزوايا فهي ذات قداسة روحية بالنسبة له وأن نجاحه لا يتم إلا إذا أولى هذه المؤسسات مكانتها اللائقة ومكنها من أداء دورها بأكمل وجه لأنها الصخرة التي تنكسر عليها دسائس ومناكر المستعمر . ولما فهم شيوخ الزوايا نوايا المستعمر ومكائده قاموا بمواجهتها بعدة أشكال ومن أهمها لم شملهم وارتباطهم ببعضهم البعض عن طريق إنشاء هيئات وجمعيات لرص صفوفهم ونبذ الفرقة بينهم ومنها جمعية علماء السنة (دودو، 1998، ص33) ومن مختلف الطرق الرحمانية والقادرية 23 تأسست في 13 سبتمبر 1932م بحضور ألف شخص والتيجانية والعلاوية والشاذلية وقد أعطيت الرئاسة إلى الشيخ المولود الحافظ الأزهري

وحاول هذا الأخير لاحتواء الخلاف القائم آنذاك بين شيوخ الزوايا وجمعية العلماء المسلمين حول وجهة النظر في طريقة عمل الدعوى . بالإضافة إلى ذلك تم تأسيس جامعة الزوايا لشمال إفريقيا والذي انعقد في 15 مارس 1948م بالعاصمة الجزائرية وقد حضره أكثر من 120 رئيس زاوية من الجزائر وبعض دول 24 الجوار المغرب وتونس وكذلك الجمعية الصوفية التي تأسست سنة 1945م بغليزان وكان العقيد عميروش عضو فيها وهناك الكثير والكثير من الجمعيات وكان الهدف الرئيسي كما ذكرنا سابقا لم الشمل ومحاولة القضاء على انشقاقات داخل المجتمع الجزائري وإعادة الاعتبار لزوايا كمؤسسات اجتماعية تربوية داخل المجتمع الجزائري وهذا ما لم يتقبله المستعمر الذي جند كل الوسائل المملوكة لديه وخصوصا بعض الباحثين الذين أرادوا أن يحاربوا هذه المؤسسات بالقلم إضافة للوسائل السابقة الذكر ومنهم الباحثان أوكتان وديبون اللذين صرحا في كتابهم: الزوايا الدينية الإسلامية في الجزائر، أن " المشكل الذي يشكل لنا خطورة وأيضا هو لمصلحة الشعب والتي يجب أن نسيطر عليها ونجعلها تحت تصرفنا . وتقضي عليها هي الزوايا الدينية . . والطرق الممكنة للقضاء عليها هي محاربة الزوايا الدينية مباشرة أو اضطهاد رئيسا أو يجب إتباع طرق سلمية لكسب ثقتهم وبالتالي جلبهم إلى صفنا (الشهبي، 2007، ص23)

الدور المرجعي للزوايا والطرق الصوفية في الجزائر:

لعبت الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر، وبخاصة الطريقة الرحمانية، دورا محوريا بوصفها مرجعية دينية، في هيكلة المجتمع الجزائري لما بعد سقوط دولة الموحدين، والاستجابة لحاجاته الدينية، الروحية والزمنية. وإذا أخذنا المجتمع القبائلي كنموذج، نجد أن الولي/شيخ الطريقة يعتبر شخصية محورية في جميع الشؤون الدينية والزمنية المرتبطة بهذا المجتمع. وبإمكاننا أن نوجز الوظائف التي اضطلعت بها المرجعية الصوفية في ما يلي:

أ- **الوظيفة الدينية للمرجعية الصوفية:** وتتمثل في التعليم والفتوى، حيث كانت الزوايا تقوم بتعليم القرآن الكريم ومختلف العلوم الشرعية والروحانية والرياضية والفلكية

وغيرها. كما كانت تضطلع بمهمة الفتوى والقضاء، من خلال الإجابة عن التساؤلات الشرعية للناس والفصل في النزاعات التي يمكن أن تنشب بينهم حول مختلف القضايا المرتبطة بالملكية والأحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية وغير ذلك.

ب- الوظيفة الروحانية للمرجعية الصوفية: وتتمثل في تلقين الذكر والتربية الصوفية (التسليك)

ج- الوظيفة السياسية/العسكرية للمرجعية الصوفية: وتتمثل في مقاومة المرجعية الدينية الصوفية ممثلة في زوايا الطريقة الرحمانية في بلاد القبائل بخاصة، للسلطة العثمانية.

د- الوظيفة الاقتصادية للمرجعية الصوفية: وتتمثل في تنظيم النشاط الاقتصادي من خلال رعاية وتسيير الأوقاف الخاصة بالزوايا (أراضي، مواشي، عقارات مختلفة)

5- الوظيفة الاجتماعية للمرجعية الصوفية : وتتمثل في رعاية الفقراء والأيتام والأرامل، رعاية عابري السبيل وتقديم العون اللازم لهم حتى يرجعوا إلى أوطانهم أو قراهم أو مدنهم، الفصل في النزاعات القبلية والعروشية والعائلية، تنظيم المواسم والاحتفالات الدينية ذات الطابع الاجتماعي (المولود/المولد النبوي الشريف، عاشوراء،..) إضافة الى التأسيس الحضاري والعمراني. وفي هذا الإطار، تمكنت المرجعية الدينية الصوفية في منطقة شمال شرق الصحراء الجزائرية، من تفكيك البني الاجتماعية القديمة، وتأسيس بنى جديدة على أنقاضها. وضمن هذا التحول "سجلنا تطورا على جانب كبير من الأهمية والخطورة، تجسد في حدوث قطيعة بين البنى الاجتماعية القبلية القديمة، والبنى الاجتماعية الناشئة حديثا على أنقاضها، حيث يحدث الانسجام بين هذه الأخيرة وبين المؤسسة الطرقية، ولا يحدث التصادم في ولاء الأفراد بين انتمائهم لطريقة صوفية، وفي الوقت نفسه انتمائهم الى مجموعة بشرية قبلية. وقد نتج عن هذا التطور، أن أصبحت القبائل مبنية على القداسة مجسدة في الولاية الدينية المستمدة من الكرامة الصوفية والنسب الشريف (أولاد سيدي) بدلا من الرابطة الدموية وحدها، مما أدى إلى انكفاء الولي (المرابط) مؤسس المجموعة البشرية/القبيلة، لصالح

القطب مؤسس الطريقة الصوفية، أو الاندماج بينهما كما هي الحال بالنسبة لسيدي الشيخ، مؤسس القبيلة والطريقة. لقد جاء هذا التحول نتيجة استحالة ارتكاز القبائل على رابطة الدم وحدها بسبب تنوع العناصر التي تشكلت منها هذه القبائل، من بربر وعرب ومهاجري الأندلس. ذلك أن العامل الروحي الديني وحده، صار هو الأقدر على تقوية التلاحم بين هذه العناصر وتمتين صلابتها

6- الوظيفة الأمنية للمرجعية الصوفية : وتتمثل في توفير الأمن لجميع سكان المناطق التي تقع تحت حماية الطريقة الرحمانية، وذلك من خلال مبدأ "العناية" الشهير في منطقة القبائل وحتى على مستوى التعبير الشعبي في جميع المناطق الأخرى. بل إن هذا المصطلح/المفهوم (أقصد العناية) دخل حتى في نصوص المديح الصوفي للطريقة الرحمانية، حيث نجده في مدائح الباشتارزية وحنصالة وحتى في مدائح الطريقة العيساوية في مدينة قسنطينة وضواحيها.

أما في العصر الحديث، فنلاحظ وجود مجموعة من الصراعات الناتجة عن التحولات الاجتماعية، أو بسبب محاولات السلطة المركزية العثمانية ممثلة في بايليك الشرق، بسط نفوذها والتحكم مباشرة في المنطقة (شمال شرق الصحراء) منذ منتصف القرن 18 الميلادي، من خلال نزع منصب "شيخ العرب" من أسرة بوعكاز الدواودة (الذين كانوا يتوارثون هذا المنصب من العهد الحفصي، وتم إقراره في العهد العثماني) وزرع عائلة غريبة عن المنطقة، من خلال تنصيب الشيخ الحاج بن قانة في منصب "شيخ العرب"، ومحاولة توسيع نفوذ هذه الأسرة بنزع مشيخة توقرت من أسرة بني جلاب الذين كانوا يتوارثون الحكم فيها منذ القرن 15 الميلادي، وتنصيب أحد أفراد أسرة بن قانة فيه. فجميع الصراعات الناتجة عن هذه السياسة العثمانية، أدت إلى تحطم البنى الاجتماعية القديمة ذات النمط الإدماجي الهلالي وكل أشكال السلطة المحلية بالمنطقة في الثلث الأول من القرن 19 الميلادي، مما أدى بالنتيجة الى توسيع مجال ومكانة المقدس، حيث تجاوز مرحلة تأسيس القبيلة أو القرية، الى تأسيس ما يشابه الاتحادية القبلية التي تضم مجموعات مختلفة من القبائل البدوية والريفية الحضرية، وتشمل

مناطق شاسعة من بوادي وأرياف وحضر في شكل طرق صوفية، وهو الوضع الذي يبدو أنه أثر على الأمير عبد القادر في اختيار خليفته بالمنطقة، حيث عين في هذا المنصب الشيخ لحسن بن عزوز شيخ الطريقة الرحمانية بها، رغم محاولات شيخ العرب بالمنطقة الشيخ فرحات بن اسعيد (بالتصغير : سكون السين وفتح العين وتشديد الياء المفتوحة) في الحصول على هذا المنصب مع الأمير، حيث أصبح للصراع مع أو بين الأولياء مؤسسي الطرق الصوفية أو فروعها بمنطقة شمال الصحراء، حضورٌ قوي، وذلك بسبب السياسة التي انتهجها البايليك العثماني في الجزائر.

ففي منطقة الزاب، وبسبب مضاعفات ومخلفات السياسة العثمانية المذكورة، كان الصراع بين تلاميذ الشيخ سيدي محمد بن عزوز ناقل الطريقة الرحمانية الى المنطقة، ومن بعده الشيخ سيدي علي بن عمر مؤسس فرعها بطولقة، ممثلا في كل من الشيخ المختار، والشيخ علي الجروني، وهو الصراع الذي انتهى بخروج الشيخ المختار من بلدة سيدي خالد الى أولاد جلال حيث أسس الزاوية المختارية، أو طرده من أفراد عشيرته حسب رواية أخرى، حيث تحول هذا الصراع الى صراع بين البلدتين. أما في منطقة وادي ريغ، فتمثلت هذه المضاعفات في الصراع بين الشيخ بن جلاب سلطان توقرت وبين سيدي الحاج علي التماسيني مؤسس الزاوية التجانية بتماسين، بسبب تدخل سيدي الحاج علي في الصراع بين فرع أسرة بن جلاب الحكام في تماسين، مع سلطان توقرت ودخول قبائل المنطقة في الصراع، وبالأخص قبائل منطقة وادي سوف كحلفاء للمحورين المتصارعين". (الجزائري وأسطورته : 85-86)

ما ينبغي التأكيد عليه في هذا السياق، هو أن هذه المآلات الصراعية الاجتماعية، لا ترتبط بطبيعة المقدس (ممثلا هنا في الولاية الصوفية المرابطية) وإنتاجه للعنف كما فهمه بعض الباحثين، بل هي مرتبطة بطبيعة البني السلطوية وسياسات البايليك العثماني ومضاعفاتها ونتائجها، وكذلك طبيعة العلاقات الاجتماعية ذات الطبيعة القبلية في تلك المرحلة، والتي ما تزال الى اليوم تؤثر على مألات الواقع الاجتماعي الجزائري في العديد من المناطق، وذلك من خلال الصراعات الاجتماعية التي ما نزال نشهدها

من حين لآخر بين مختلف العروش والقبائل، والتي حاول البعض منحها طابعا دينيا طائفيا من أجل حشر المقدس في دائرة العنف، وإلباسه عباءة ذلك العنف كما حدث ويحدث من حين لآخر بين مزاب والشعانبة في منطقة غرداية على سبيل المثال لا الحصر. والدليل على أن هذه الصراعات المذكورة ليست لها علاقة بالمقدس، هو أننا لا نجد لها أثرا في منطقة القبائل مهد الطريقة الرحمانية وموطنها الأصلي. والسبب في ذلك هو فشل سياسة التفريق التي كان يحاولها البايليك العثماني، من أجل إدخال الصراعات الى المنطقة. من هنا فالقول بأن مأسسة المقدس تؤدي بالضرورة الى تحرك آليات العنف وبالتالي إنتاج العنف الاجتماعي وفتح المجال لممارسته، هذا كلام قد يكون فيه بعض الحقيقة عند البحث العميق، لكنه لا يمكن أن يعمم بحال من الأحوال.

وفي سياق وظيفتها الدينية الثقافية، عملت المرجعية الصوفية ممثلة في الطريقة الرحمانية على مقاومة الحرب الدينية الثقافية التي شنها الآباء البيض على منطقة القبائل بعد الاحتلال الفرنسي للبلد، حيث أفشلت المرجعية الصوفية تلك الحملة التنصيرية التعسفية الشرسة التي قادها الكاردينال لافيجري في بلاد القبائل بعد 1870، فيما عدا بعض الاستثناءات في قرى واضية، واغزن، وبني يني، على سبيل المثال.

المحاضرة العاشرة:

المحور الثاني: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

أ- سياسات التعليم في الجزائر اثناء العهد العثماني:

ان الدولة لم يكن لها اي دخل في هذا الميدان ، فلم يكن في الحكومة الجزائرية عندئذ وزير لشؤون التعليم و لا مدير و لا من الوظائف الرسمية، و انما كانت الدولة منحصرة في المحافظة على الاستقرار السياسي و الدفاع عن الحدود و جمع الضرائب لبيت المال-الخزينة- و لم تكن هذه المداخيل و غيرها تستعمل في نشر التعليم و ترقيته و تنمية الثقافية و تنشيطها و لكن في اجور الجنود و في المعدات الحربية و خصوصا البحرية و في توزيع الهدايا على السلطان العثماني و موظفي الدولة من جهة و تهتم الدولة العثمانية بالتربية و لا أمور شعبية، و ان فعلت ذلك فعن طريق الدين فقط فكان التعليم خاصا يقوم على جهود الافراد و المؤسسات الخيرية و كانت مهنة التعليم و القضاء و الافتاء كانت وراثية في الاسرة.

وكانوا ينظرون الى المعلم نظرة شفقة وعطف أكثر من نظرة الاحترام و التبجيل، وقد لاحظ الحسن الوزان غلبة الفقر على طلبة تلمسان اوائل القرن 10، و معنى ذلك ام مهمته التعليم كانت لا تعني حاجاتهم المعاشية.

فقد سمح العثمانيون للعلماء غير الجزائريين باستيطان الجزائر والتدريس والتوظيف فيها كما سمحوا لعلماء الجزائر وطلبتها بطلب العلم بالمعاهد الاسلامية خارج الجزائر.

و كان الطلبة شغلهم الشاغل طلب العلم و لم تكن لهم عواطف قبلية اقليمية و كانوا يطلبون العلم و لو على حساب صحتهم و مالهم و سعادتهم الدنيوية مثلا توجه محمد وارث من متيجة الى قسنطينة للتتلمذ على يد الشيخ محمد التواتي، و كان معظم الطلاب يذهبون الى قسنطينة والشيخ محمد الحنفي قاضي قسنطينة جاء من قسنطينة الى العاصمة و كان التعليم الابتدائي اكثر شهرة.

ب- وسائل التعليم:

-المعلمون:

كانوا المعلمون صنفين معلموا المدن و معلموا الريف و هناك درجات للمعلم فهو مؤدب للصبيان اذا كان يباشر التعليم الابتدائي الى ان يبلغ الطفل سن التكليف و هو المعلم او المدرس اذا كان يباشر التعليم للفتيان من تلك السن الى العشرين و نحوها، فقد كان للجامع الكبير حوالي 19 استاذ او مدرس و شهدت مراكز التعليم بمعسكر في اخر القرن12 حركة نشطة تشارك فيها ابو راس و وجلال والطاهر بن حوا ومحمد بن زرقة ومحمد الشارف ومن اشهر المدرسين في غير المدن خليفة بن حسن القماري بوادي سوف ومحمد عبد الكريم التواتي في توات و قد كان التعليم عند بعض رجال التصوف وخصوصا في الريف يعد نوعا من العبادة و الجهاد ايضا.

2-اجور المعلمين:

كانوا كسب معاشهم عن طريق الاوقاف او عن طريق الاجور الشهرية التي يدفعها الاهالي او عن طريق الهدايا مثلا زاوية القشاش قد نصت وقتها على تخصيص مال لأستاذ مكلف بتدريس الشريعة و التوحيد الى جانب عشرة فراد في مختلف العلوم و نصت وقفية جامع عبدي باشا على صرف 5 ريالات قضية لأستاذ ملحق بالجامع و صرف ريال لمساعدة و كانت اوقاف سبل الخيرات تنفق على مدرسي و اساتذة الجامع اما الاستاذ الجامع الكبير بقسنطينة كان يتقاضى 48 ريالا شهريا كم جاء ان القاضي الحنفي و المفتي المالكي كان كل منهما يأخذ شهريا 50 صاغة من ضريبة مفروضة على اليهود.

3-التلاميذ:

كان اعمار التلاميذ الردين على الكتاتيب القرآنية تتراوح بين 6 و 14 سنة و فيه تعلموا القران وتعلم القراءة و الكتابة و قواعد الدين و الحساب و كان الطفل لما يختم القران يشرك الاهالي في تبادل التهاني و الافراح و ان يركب الطفل على حصان مزين يقوده زملائه في الكتاب و يطوفون به الشوارع المدينة معلنين بنجاحه و يقدمون الاسر و الجيران الهدايا له ويلبس الاطفال لباسا جديدا و حصول الطفل على لقب

الطالب و من هنا اما يرتبط في سلك الطلبة او يتابع دراسته الثانوية و اما يصبح مؤدبا و اما يدخل التجارة مع اهله و اما يضم الى الجيش .

4-المرأة الجزائرية:

كانت غائبة طيلة هذا العهد بحيث لا ميدان يتركن في الحياة العامة و السبب في ذلك يعود الى الحكام كانوا غالبا من العزاب و المغامرين و كان ما يشغل وقتهم هو جمع المال و البقاء في الحكم فإذا اهتموا بالمرأة فانه لا يعينهم منها دينها او لغتها و تعلمها و مكانتها الاجتماعية و لكن كونها من الجواري و الاسيرات بالدرجة الأولى و اعتبروا الزواج من المرأة المسلمة مذلة وجعلوا ابنائهم منها في درجة العبيد ينما ابناؤهم من الجواري و المسيحيات احرارا يحكمون و يرثون وظائف ابائهم و من ثم لم يهتموا بتعليم المرأة المسلمة.

5-المناهج:

أ- في التعليم الابتدائي: فالمؤدب كان يجلس عادة في صدر الكتاب متربعا على حصير او نحوه مستندا ظهره الى الجدار مرتديا عمامة و جبة و فوقها احيانا برنس، و بيده عصا طويلة تصل الى ابعد تلميذ عند الحاجة و كان يلتفت يمينه و يساره يراقب حركات التلاميذ و ادائهم لواجبهم و عندما يحين وقت الاملاء يملي المؤدب بصوت عالي على من يسأله من التلاميذ و احيانا ينهر تلميذ اخر يراه ضاحكا و هو يحرك رأسه اذنا لمن يسال لدخول او الخروج و كان التلاميذ يجلسون حول المؤدب في نصف دائرة و هم ايضا كانوا يجلسون متربعين على حصير او نحوه قبالة المؤدب و بيد كل واحد منهم لوحة كبيرة او صغيرة حسب امكانيات التلميذ و عمره و الاطفال في هذه المرحلة يستعملون الورق للكتابة و يذهب التلاميذ الى الكتاب مرتين في اليوم صباحا و مساءا

و في كل مرة يبقون في الكتاب حوالي ساعتين و قد جرت العادة ان الجلسة الصباحية هي المهمة لاستظهار و المحو و الكتابة و اخف انواع العقوبة على التلميذ في هذه المرحلة هو التأنيب الكلام و افسادها تسليط و اغلب الاباء كانوا يرضون بتصرف المؤدب.

ب -التعليم الثانوي:

يدخل الطالب مكان الدرس فيجد المدرس او المدرسين و حولهم الطلاب في حلق او نصف دوائر و كل مدرس يتناول مسالة او كتبا معينة فإذا كان الطالب قد كون فكرة واضحة عن المدرس و يتابع دراسته معه، في المادة التي يدرسها او المواد و المدرس الحرفي وضع البرنامج الدراسي و في تحديد اوقات التدريس فبعضهم كان يعد دروسه في الصيف و يلقيها في الشتاء و بعضهم كان يلقي دروسه ثلاث مرات في اليوم الواحد كما كان بعضهم كان يلقيها في الصباح فقط او بعد الظهر فقط او مرتين في النهار و قد لا ينقطع بعض المدرسين عن التدريس طول النهار و المدرس ينصح تلميذ بكيفية القراءة و بالكتب التي عليه ان يدرسها و بطريقة تحضير الدرس و بالمتون التي عليه حفظها.

وكانت ميزة الدرس في التعليم الثانوي والعالي هي الشرح و الاملاء فقد كان لكل مدرس مسمع يقرا له النص او جزءا من الكتاب المدروس ثم يأخذ المدرس في شرح المسالة و توضيحها و الاستشهاد لها من محفوظة و معقولة اومن المنقول و المعقول.

المواد المدروسة:

تقلصت المواد الرياضية و الطبية من البرامج الثانوية و العالية و اقتصرت العلوم المدروسة على العلوم الدينية و اللغوية و بعض كتب التاريخ و السيرة و قانون ابن سينا في الطب و هذه القائمة بالعلوم الدينية الشائعة و هي:

-تفسير القران الكريم.

-مصطلح الحديث العراقي.

-التوحيد او علم الكلام بالمنظومة الجزائرية .

-التصوف بدراسة حكم ابن عطاء الله و كتاب اسقاط التدبير له ايضا.

-اما العلوم اللغوية:

-النحو بالاجرومية و الفية ابن مالك و شروحها.

-الصرف بلامية ابن مالك في التصريف.

-فقه اللغة.

-البلاغة بجوهرة الاخضري و حواشي السعد التفتزاني و متنه و تلخيص المفتاح.

العروض باخزرجية مع شرحها للشريف الغرناطبي.

-الخط/السير و الاخبار.

اما الحساب كان لفهم العمليات الاربع و ممارسة التجارة و الفرائض كانت لمعرفة قسمة لتركات و نحوها و كذلك الامر بالنسبة لعلم الوثائق و علم الوضع ام الفلك فقد كان يدرس لمعرفة الزوال و اوقات الصلاة و الهلال و ليس للملاحظة و نحوها و هذه ما تسمى بالعلوم المحظة و هي في الدولة العثمانية

الحساب/الفرائض/الوثائق/علم الوضع/علم الفلك لأبي مقرع بالسراج للاخضري/للطلب و الصيدلة.

-و لم تكون العلوم التجريبية و التاريخية تدرس في الجزائر اثناء الحكم العثماني و لعدم تدريس

الجزائريين للعلوم المحضة و ممارستها هو ما جعل بعض الملاحظين الاجانب يهاجمون التعليم الجزائري انذاك.

-حوافز التعليم و اهدافه:

-كان التعليم مدفوعا لدافع ذاتي و تضحية.

-تقاليد الاسرة فإذا كان الوالد عالما فالتأكيد يلتحق به ابنه.

-المتعلم بعد تخرجه يظل غالبا بدون عمل.

-كانت هناك وظائف محدودة جدا.

-بعض المدرسين الكبار:

-سعيد قدورة.

-علي الانصاري السجلماسي.

-سعيد المقري، عمر الوزان.

المحاضرة الحادية عشر:

ج- المؤسسات التعليمية: تميز المجتمع الجزائري في أواخر العهد العثماني بانخفاض نسبة الأمية، وذلك بشهادة الأوربيين الذين تحدثوا عن مدى ارتفاع نسبة الفئة المتعلمة في الجزائر، إذ أكدوا أن أغلب الجزائريين يتقنون القراءة والكتابة، حيث نقل عن (شيمبر Chimber) قوله: "لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه (بوناني، 2000، ص 87)، وهذا مؤشر واضح يبين تعدد مراكز التعليم وفعاليتها وبتفصيل الحديث عن هذه المراكز ومميزاتها نجد أنها تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

1- المساجد والجوامع:

ويعتبر المسجد من أوائل مراكز التعليم تأسيسا وانتشارا حيث لا يقتصر دوره على العبادة فحسب، وإنما يتعداه ليشمل مهام أخرى يأتي في مقدمتها نشر العلم والمعرفة، حيث يعرف بأنه: "منارة العلم والحضارة ومكان للعبادة، ومجمع للمسلمين ومنشط لهم، ومركز للحياة الدينية والعلمية والثقافية" (سعد الله، 1998، ص 244)، يميز بعض الباحثين بين المسجد والجامع، فالمسجد هو البيت الذي يسجد فبه كما يعتبر بأنه مؤسسة من المؤسسات الدينية والتعليمية التي لها أهمية كبيرة لدى المسلمين، أما الجامع فهو لفظ اشمل من المسجد، حيث تقام فيه صلوات الجماعة كالجمعة والعيدين (باحمد، 2018، ص193)

إن تعداد المساجد في المنطقة الواحدة ليس ثابتا في المصادر المفردة في تاريخ الجزائر وهو ما يجعلنا لا نملك إحصاء دقيقا لها، فمدينة الجزائر مثلا أحصى لها (هايدو Haydo) حوالي مئة مسجد منها سبعة (7) مساجد رئيسية، في حين ذكر

(باناننتي Bananti) أن عددها تسعة (9) جوامع وخمسون(50) مسجدا، وقد عرف على المجتمع الجزائري أنه مجتمع محافظ، و لذلك كانت للمساجد مكانة خاصة لدى أفراده، فالمتأمل لتعداد المساجد والجوامع وما اختصت به من رعاية يستشف مدى تقديس الشعب الجزائري لهذه المؤسسات الدينية والعلمية، التي كان من أشهرها: جامع سيدي مروان بقسنطينة (سعد الله، 1998، ص 246)، الجامع الكبير ببجاية، جامع عين البيضاء، جامع سيدي بومدين، وجامع بن الكبير، ولم تكن المساجد المبنية قبل الوجود العثماني التابعة للمذهب المالكي، بمثل زينة وأناقة المساجد المبنية في العهد العثماني، لكنها تحتوي على المرافق الضرورية التي تمكنها من أداء وظيفتها، إذ تلحق بالمسجد مكتبة تحتوي على كتب دينية، وفي بعض الأحيان تكون متنوعة ككتب الأدب والطب والفقه والرياضيات والتاريخ وغيرها، كما تلحق به بعض الكتاتيب لتحفيظ القرآن للأطفال، وكذلك بيوت الوضوء والعيون للطهارة والاستحمام، والتي تعد من التوابع الضرورية للمسجد، وكانت تخضع المساجد والجوامع لتنظيم ورعاية الدولة العثمانية، ويختلف عدد الموظفين فيها من مسجد لآخر، حيث يرتكز التعليم في المساجد على تعليم الأطفال القراءة وحفظ القرآن، وذكرت الدكتورة لزغم أن الطالب كان :" يقرأ القرآن في المدرسة، ويبيت فيها وعندما ينضج يحضر حلقات الدروس في الجامع الكبير "إلى جانب عقد المناظرات وإقامة دروس علوم النحو والفقه والحديث، حيث يتلقى المتعلم بدايات وأبجديات التعليم في الكتاتيب ثم ينتقل إلى حلقات المساجد، وقد جاء ذلك في وصف الرحالة الورتيلاني للمسجد الكبير في خنقة سيدي ناجي: " ظهر العلم فيها لها فضل عظيم فإنهم مشتغلون بالنحو والفقه والحديث، خصوصا مختصر البخاري لابن جمرة" (لزغم، 2011، ص126)

2 – الزوايا :

الزاوية هي مؤسسة دينية خاصة للعبادة، وقد كانت في الغالب رباطا وملجأ ومسكنا للطلبة الغرباء، ومكانا لتلقين الأذكار واستقبال المريدين، كما عدت مركزا للتعليم، ويجدر بنا التذكير بالظروف السياسية والاجتماعية التي ميزت المغرب الأوسط خلال

الدولة الزيانية في القرن الخامس عشر الميلادي، إذ عرفت هذه الفترة انتشار الفكر الصوفي، وانعدام الثقة بين الحكام والطبقة العامة وهو ما أدى إلى ظهور الزوايا (صحراوي، 2016، ص67)، وقد كان للزاوية في الريف أرض موقوفة يحرثها الطلبة ويعتنون بها، ويستعمل الإنتاج في صيانة الزاوية وتغطية أجور المتمدرسين (صحراوي، 2016، ص68)، وفي بداية التواجد العثماني انتشرت الطرق الصوفية والزوايا في مختلف مناطق الجزائر، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، واكتسبت سلطة روحية واسعة حيث أثرت في قلوب الجزائريين، وبذلك شكل المرابطون طبقة اجتماعية لها نفوذ في أواسط المجتمع، فلا تكاد تجد أسرة إلا ولها ولاء لأحد المرابطين حيث يذكر سعد الله :"...كما كانت للعائلات الكبيرة في المدينة زواياها الخاصة مثل: زاوية أولاد الفكون، وزاوية بن نعمون، وأولاد جلو (سعد الله، 1998، ص 164،165) ونتيجة لهذه القدسية التي تحظى بها الزوايا فإن الأتراك أيضا أوجدوا لأنفسهم زوايا في الجزائر، مثل زاوية رضوان خوجة التي كان دور الزوايا الأساسي وهو الرباط في ثغور الجزائر والعبادة، ثم توسعت وظائفها لتصبح مراكز لتعليم العلوم الشرعية، كقراءة القرآن والتسابيح، خاصة الزوايا الموجودة في الأرياف، التي كان لها دورها في تعليم الفئات الريفية البعيدة عن الحواضر العثمانية ولا يمكن حصر عدد هذه الزوايا في الجزائر، ذلك أنها تعتمد على عدد المريدين فكل مريد حين يصبح له أتباع يمكن له أن ينفصل ويؤسس زاوية له يدفن فيها عند وفاته، ومن أهم الطرق التي كان لها تأثير في الجزائر نذكر : الطريقة الدرقاوية، والقادرية ، والرحمانية، والتيجانية، التي شكلت إزعاجا للحكومة العثمانية، واشتهرت بعض الزوايا والخلوات الريفية وأصبحت محجا للزوار والطلبة، ومن ذلك زاوية خنقة سيدي ناجي، خلوة عبد الرحمن الأخضري، ضريح سيدي خالد زاوية المجاجي، زاوية القيطنة، ويذكر سعدالله أن عدد الزوايا في الغرب أكثر عددا من الشرق، وقد كان للزوايا دور ملموس في التعليم، إلا أن ذلك لم يعدم بروز بعض المظاهر السلبية - كالخرافات التي سادت في المجتمع جراء انتشار الفكر الطرقي الضال وانتشار مظاهر الشرك والدجل، إذ لا تخلوا منطقة في الجزائر إلا وبها مرابط أو ولي مزعوم يدعي حمايتها بكرامته، وعليه انحرف الفكر الصوفي

الصحيح وتحول إلى الخرافة والدجل والشرك، ناهيك عن الركود الفكري الذي اقتصر على طريقة شخص ما في العبادة والتفصيل في كراماته، وبقيت الكتب والمؤلفات الصحيحة حبيسة المكتبات، لقد أدركت الدولة العثمانية خطر الزوايا على نفوذها لاسيما بعد كثرة الثورات التي تقودها، فقامت بتأسيس المدارس للحد من تأثيرها في المجتمع (صحراوي، 2016، ص 56)، فما كان من تلك الزوايا إلا أن انتهجت التعليم أيضا ومثالا على ذلك نذكر: زاوية خنقة سيدي ناجي التي كان لها دور كبيرة في نشر العلوم الدينية واللغوية في الشرق، فقد شملت نشاطاتها أن ضمت المسجد والمدرسة، وقد تخرج منها علماء وأعلام، وأشاد بها حسين خوجة ووصفها بأنها: معروفة بالعلم وبتخريجها لمشايخ كرام وعلماء أعلام (لزغم، 2011، ص 124)، وقد كان لزاوية الخنقة وعلمائها شهرة واسعة في المنطقة، حيث شملت إشعاعاتها الحضارية الزاب، الصحراء، الأوراس، وامتدت إلى تونس وطرابلس أما في الغرب الجزائري فنذكر: زاوية محمد بن يحي السليماني، زاوية عبد الله بن عند الرزاق الإدريسي، التي تزعمت التعليم في الغرب، وتفوق علماؤها في الفقه المالكي وزاوية القيطنة التي أسسها مصطفى بن مختار الراشدي وفحوى القول: إن تأثير الزوايا والرابطات شمل قطاعا واسعا من المجتمع الجزائري، فقد كانت مصدر العلم والثقافة في الأرياف والمناطق النائية، كما انتشرت في الحواضر والمدن واكتسب المرابطون مكانة دينية وسياسية وحظوا باهتمام الحكام، كما وتعتبر الزوايا أحد جسور التواصل، ووجها من وجوه التبادل الثقافي بين الشعب الجزائري وشعوب المناطق المجاورة حيث نجد الشرق على تواصل دائم بتونس وليبيا، في حين نجد الغرب يتبادل التأثير والتأثر بالمغرب الأقصى، أما المناطق الجنوبية فهي على اتصال دائم بالقبائل الصحراوية حيث تمتد جسور التواصل الفكري إلى أعماق الصحراء (عميراوي ، 2019، ص67).

المدارس:

اهتم العثمانيون بتأسيس المدارس للقضاء على نفوذ الطرق الصوفية الفكري، القائم على الولاء لهذه الطرق من جهة، واكتساب تأييد المواطنين من جهة أخرى، ومن هذا

المنطلق نستطيع القول: إن إنشاء المدارس كان لغرض سياسي، فهو ضرورة حتمية أوجبتها ضرورة المحافظة على الاستقرار السياسي الداخلي الخارجي، أما المحتويات التعليمية المقررة في هذه المراكز التعليمية فنمكن أن نستشفها مما أورده (شيمبر Chimber)الذي ذكر أن: " الأطفال في سن السادسة من العمر تتعلمون في المدارس مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقرآن الكريم، ثم يواصلون تعليمهم عند العلماء والفقهاء، ويسافر الكثير منهم فيما بعد إلى تونس والقاهرة لإتمام دراستهم، أو تعلم الحرف وفنون التجارة ومنهم من يسافر إلى أوربا" (دودو، 1998، ص14)

الرباطات:

كلمة الرباطات مشتقة من رباط الخيل التي وردت في الآية الكريمة: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُم مَا ٱسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَ ٱللهِ وَعَدُوَكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُم ٱللهُ يَعْلَمُهُمْ وَ مَا تُنْفِقُواْ مِن شَيءٍ فِي سَبِيلِ ٱللهِ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُم لاَ تَظْلَمُونَ﴾ (سورة الأنفال ، الآية 61)

ومن الرباطات أيضا يقول رابط الجيش في الثغر، أي أقام فيه للحماية والمدافعة وسميت الإقامة في الثغور مرابطة ومنها اشتهر في المغرب المرابطون والرباط في الإسلام شعبة من شعب الجهاد في سبيل الله (السحمراني، 1987، ص 149)

«فالرباطات قامت أساسا في الثغور وأماكن الخطر التي يهجم منها الأعداء، وهكذا كانت الرباطات قلاعا وحصونا لمنع الخطر الأجنبي، وكان المرابطون هم المجاهدون اللذين يحمون الثغور ويتصدون للأعداء، وبعد تولي العثمانيين الدفاع على الثغور انحصر نشاط المرابطين في أعمال البر والتعليم وإصلاح ذات البّين وتأمين الطرق وقد بنوا لأنفسهم أو بنى لهم الناس زوايا بدل الرباطات أو تحولت الرباطات إلى زوايا»

من ذلك فبعض الزوايا كانت في الأساس رباطا، ولكن ليس كل الزوايا كان لها نفس هذا المنحى فهناك من بنيت منذ البداية زاويةً ولم تقم على أساس أنها رباط.

في المغرب الإسلامي فان أول ما ظهر هو الرباط، ونجد في الحديث النبوي الشريف في أحاديث كثيرة منها: رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها.

وقد أطلق هذا المصطلح على الحصون التي تبنى على الحدود، أو ما يعرف بالثغور التي تفصل بين البلاد الإسلامية وبلاد العدو، وقد كان ظهور هذه الأربطة خلال القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي على سواحل أفريقية، وكانت عبارة عن بناية ذات حصانة ومنعة، تعلوها أبراج للمراقبة، وتقطنه حاميات من الجند المطوعين، وعادة ما يصطحب هؤلاء الجنود أسرهم معهم، ويزاولون أعمالهم اليومية بصورة طبيعية لكسب أوقاتهم وأرزاقهم، دون الطمع في اجر أو هبة من الأمراء والحكام، ودون أن يلهيهم ذلك عن الاستعداد للحرب كلما دعا إليها داعي، لقد كانت هذه الأربطة ذات وظيفة عسكرية لتحمي ثغور المسلمين، وصد الأعداء عنها، ووظيفة روحية، حيث كان يلتقي فيها أناس زهدوا مما في الدنيا وقدموا أنفسهم فداء للإسلام والمسلمين دون طمع أو قهر، بل رغبة صادقة وإخلاص تام، واستجابة لدعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكانت تتوزع أوقاتهم في هذه الأربطة على عدة أشغال، كالحراسة والتدرب والتمرن على القتال، وفي العمل لكسب الرزق، والعبادة والتقرب إلى الله ومع تغير المعطيات السياسية واستقرار أحوال المغرب والسواحل على الخصوص من الهجمات الصليبية، تحولت الرباطات فيما بعد إلى رابطة، وقد عرفت هذه الأخيرة فضلا عن استمرار الوظيفة الحربية التي كان يقوم بها الرباط بروز الوظيفة الروحية أكثر مما مضى، حيث أصبحت الرابطات تستهوي المتصوفة والزهاد، وقد وجدوا فيها مبتغاهم ولعل أولى الرابطات التي عرفها المغرب الأوسط (الجزائر)، رابطه عبد

السلام التونسي في تلمسان ورابطة ابن الزيات ببجاية، وكانت وظيفة هذه الرابطات تتمثل في الانقطاع للعبادة والالتقاء بالطلبة، وتلقينهم علوم التصوف والدين عامة، ثم أخذت الرابطة في التطور، وأصبح في جملة وظائفها السابقة إعالة الطلبة المقيمين فيها، كما كان الحال في رابطه ابي محمد عبد الكريم بن عبدالملك المعروف بابن يبكي، التي كانت لها أوقاف ينفق منها.

وكانت الرباطات تشبه الزوايا من بعض الوجوه فهي مثلها في خدمة الدين والمجتمع ولكن الرباطات كانت تمتاز بأنها قرية من مواقع الأعداء وأن تأسيسها يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم أيضا وكانت الرباطات في العهد الأول منتشرة على السواحل التي نزل فيها الأعداء أو كانوا يهددونها فكان الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت وكان المجاهدون يجتمعون بها وينطلقون منها ويأوون إليها للزاد والسكن وبعد إبعاد الأعداء عن معظم السواحل انحصرت الرباطات في الغرب الجزائري حيث ظل الإسبان في وهران وفي المرسى الكبير وحيث الخطر كان داهما بشكل أوضح، وقد لعبت الرباطات دورا كبيرا في فتح وهران الأول سنة 1119 والثاني سنة 1205، واشتهر من علماء الرباطات في الفتح الأول مصطفى الرماصي وأبو الحسن أو حسون العبدلي كما اشتهر من علماء الرباطات أيام الفتح الثاني محمد بوجلال والطاهر بن حوا ومحمد بن علي الشارف المازوني وولداه، وكذلك محمد المصطفى بن زرفة وقد أقاموا تحت رئاسة بوجلال عند جبل المائدة قرب وهران للتضييق على الكفار وكانوا هناك يدرسون ويحاربون أيضا فالرباطات إذن كانت قلاعا من جهة وزوايا ومدارس متنقلة من جهة أخرى ويمكننا أن نضيف إلى ذلك زاوية الشيخ محمد بن علي المجاجي التي اشتهرت بكونها

زاوية ومدرسة ورباطا ولعل ما أنشأه المرابطون في العهد العثماني الأخير من مؤسسات لنشر التعاليم المضادة للنظام العثماني مثل زوايا ومعاهد الطرق الصوفية كالدرقاوية والتجانية والقادرية والرحمانية لا تخرج أيضا عن كونها رباطات بالمعنى الذي أشرنا إليه (سعد الله، 1998، ص268)

المحاضرة الثانية عشر:

د- مراحل التعليم: كان التعليم العام في الجزائر مقسما إلى مراحل ثلاث هي

أولا: مرحلة التعليم الابتدائي :كان التعليم الابتدائي في الحواضر الجزائرية يتم داخل مؤسسة تربوية تعرف "بالمسيد"، أما في القبائل فيتم ذلك داخل خيمة تعرف باسم "الشريعة"، و يسمى المشرف على التعليم في هذه المرحلة مؤدب . ويقصد الأطفال هذه المدارس في سن السادسة، أين يتعلمون القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وتعتبر اللوحة الوسيلة الرئيسة في ذلك .ويتميز التعليم المدرسي بالنظام والانضباط، الذي كان من مظاهره أن الأطفال يتركون أحذيتهم عند باب القسم، وقد كان عدد التلاميذ في القسم نموذجيا، إذ قلما يتجاوز خمسة عشر تلميذا، وقد كان المعلم يحظى باحترام وتقدير تفرضه مكانته الدينية يذكر محمد رزيق أن التعليم خلال هذه المرحلة اعتمد على تحفيظ القرآن الكريم ابتداء من سورة الفاتحة وقصار السور، حتى إذا بلغ الطفل سورة البقرة بكون قد أنهى هذه المرحلة (سعد الله، 1998، ص 320).

ثانيا: مرحلة التعليم الثانوي: تزيد أعمار المتمدرسين في هذه المرحلة على 14 سنة، ويؤهل إليها أكثر الطلبة اجتهادا بحيث يصبحون موظفين رسميين حال التخرج ويطلق على المعلم في الصف الثانوي اسم "المدرس" وهو موظف عند الدولة يعينه الباشا أو الباي، ويخضع لرقابة وقيود وواجبات دينية مدنية، واجتماعية، وسياسية .ويعين المدرس وفقا لمجموعة شروط يحددها الباشا أو الباي، كما أنه مقيد بمواد معينة حددها سعد الله بعلوم الدين، والنفس، واللغة، والتاريخ، والسير، والمواريث إلا أن له الحرية في تحديد أوقات تدريسه في الغالب، تشرف على التعليم في هذه المرحلة مؤسسة الأوقاف، ولذلك كان التعليم مجانيا، فلم يكن الطالب ملزما بتغطية النفقات الدراسية. (سعد الله، 1998، ص 337/336).

ثالثا: مرحلة التعليم العالي :لم تكن الجزائر تحتوي على جامعات أو معاهد كالتي في المشر ق أو المغرب، أو كالتي في أوروبا غير أن دروس جوامعها تضاهي هذه الجامعات في العلوم النقلية، كما شاعت الرحلات لإتمام الانتهال من العلوم خارج البلاد، ورغم أن الرحالة الفرنسي فانتور ديبارادي قد تحدث في القرن الثاني عشر الثامن عشر عن وجود ثلاث جامعات لتعليم المذهب المالكي في مدينة الجزائر

وحدها، فإن الواقع هو أنه لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف علي، فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي، توحد نظم التعليم وتحافظ على مستواه وتعكس نشاط واتجاه العلماء، وتحفظ قدرا معينا من أساليب اللغة والذوق الأدبي العام. ولم يكن للجزائر جامعة إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي بل قد تفوق أحيانا، دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها، وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي فدروس سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة، ودروس سعيد المقري في تلمسان، ودروس أبي راس في معسكر ودروس عمر الوزان وعبد الكريم الفكون وأحمد العباسي وعبد القادر الراشدي في قسنطينة، وأحمد البوني في عنابة كانت مضرب الأمثال في العمق والإحاطة والرقي، غير أن شهرة هؤلاء العلماء كانت نتيجة جهودهم الشخصية وليس نتيجة انتمائهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعين لها، ونحن لا ندري قصد الرحالة الفرنسي المذكور بالضبط، ولعله كان يقصد بالجامعات بعض المدارس العليا مثل المدرسة القشاشية ومدرسة شيخ البلاد والجامع الكبير. (سعد الله، 1998، ص274)

ه- الممارسة التعليمة في المجتمع الجزائري:

لم يقتصر التعليم على الفتية الذكور فحسب بل شمل أيضا الفتيات، ولكن نظرا لخصوصية المجتمع الجزائري، فقد كان تعليمهن يتم داخل البيوت بالنسبة الأسر الثرية من الأشراف كان يتم جلب المؤدب إلى المنزل، وقد ذكر شالر في مذكرات أن البنات يتعلمن في مدارس بالطريقة نفسها التي يتعلم بها الصبية إلا أنه يشرف عليهن نساء، وهذا الذي أورده شالر (العيد، 1980، ص 58)

كان خاصا بالمرحلة الابتدائية .وما يمكن الإشارة إليه هو أن أبناء الأتراك والكراغلة لم تكن لهم مدارس خاصة للدراسة أو التعليم، ولذلك كان كثير منهم يتنقلون إلى وطنهم الأم لأجل التعلم، ونستدل على ذلك بحمدان الخوجة الذي ذكر في سيرته أنه انتقل إلى اسطنبول ومكث هناك لفترة ليست يسيرة.

المراكز التعليمية:

ارتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في إيالة الجزائر العثمانية بالمؤسسات التعليمية والتنظيمات الحيوية، وتأثر الى حد كبير بدور الفقهاء في المدن وشيوخ الزوايا في الريف، بينما عكست المظاهر ولاسيما العمارة والموسيقى ميول وأذواق ونوعية حياة سكان المدن والريف (سعيدوني، 2009، ص 53) وسنعالج في هذا العنصر أهم روافد الثقافة الجزائرية خلال العهد العثماني وأهم مرتكزاتها بدءا بالمسجد الذي يعد الحلقة البارزة خلال هذا العهد.

المساجد:

يعتبر المسجد منارة العلم والحضارة ومكان للعبادة ومجمع المسلمين ومنشطهم ومركزا اساسيا للحياة الدينية والعلمية والثقافية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والبيوت والأسواق والكتاتيب، فهو بهذا المفهوم مؤسسة دينية للعبادة والتعليم ونشر العلم بالإضافة إلى تمتين الروابط الاجتماعية ومناقشة وحل قضايا المجتمع وفق مبادئ الشريعة الاسلامية السمحة، وقد كان بناء المساجد يتم في بعض الأحيان من طرف المبادرات الفردية، لأن الدولة لم تول الاهتمام لهذا الشأن باستثناء بعض الحكام الذين قاموا ببناء مساجد وأوقفوا لها من مالهم الخاص.

وهذا ما يؤكده صاحب عجائب الاسفار عندما يشير الى الباي محمد الكبير الذي قام بتشييد مسجد في الغرب الجزائري من ماله الخاص، والذي حمل اسمه (جامع محمد الكبير) بمدينة معسكر، ومن بين أبرز المساجد بالجزائر العثمانية نجد مسجد

كتشاوة والجامع الكبير اضافة الى المسجد العتيق بمعسكر وجامع سيدي الهواري وغيرها (شدري، 2007، ص76)

وتشير المصادر التاريخية ان عدد المساجد مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م بلغ حوالي 13جامع رئيسي واكثر من 109مسجدا، منها اكثر من 24 مسجدا تابع للمذهب الحنفي، ومن بين المساجد المنتشرة في بقية الاقاليم تذكر لنا الاحصائيات انه كان يوجد بعنابة 37مسجدا وجامع وفي مدينة تلمسان اكثر من 50 مسجدا وجامع تتميز بطابعها الاندلسي، اشهرها جامع بومدين والجامع الكبير وجامع محمد السنوسي، وفي المدية كان بها 11مسجدا منها جامع سيدي المزاري الذي بناه مصطفى بمزراق أخر بآيات التيطري، والملاحظ ان جل هذه المساجد كانت مرفوقة بمكتبات للقراء والطلبة والاساتذة، جل كتبها كانت دينية، إلا ان بعضها كان يحتوي على القليل من كتب العلوم والرياضيات والطب، مما جعل العهد العثماني يتسم بالعلوم القرآنية النقلية اكثر من العلوم العقلية.

المدارس العلمية:

المدارس العلمية مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها بصورة اساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وقد عرفها ابو راس الناصري بقوله: [المدرسة المتعارف عندنا الان وهي التي تبنى لدراسة العلم اي تعليمه وتعلمه] وحقيقة الامر ان الجزائر خلال العهد العثماني عرفت انتشار واسع للمدارس، ويذكر البعض ان مدينة الجزائر كانت تتوفر على ثلاث مدارس للمذهب المالكي، وكان من أهداف المدرسة في ربوع الوطن الجزائري تحفيض القرآن الكريم إلى جانب تعليم مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى كالحديث والنحو واللغة والفقه والتوحيد واستكمال هذه الدراسات بعلم الحساب وقراءة المؤلفات الطبية(شودار، 2016، 257).

ومن بين المدارس المشهورة في الجزائر العثمانية نذكر:

مدرسة ما زونة: اشتهرت مدينة ما زونة بمدرستها الدينية، بلغت ما زونة شهرتها الآفاق في العلوم الشرعية منها الفقهية وعلم الحديث وعلم الكلام، وقد عرفت بكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة شيوخها، حتى وصفت بكونها بلد العلم والفقه، واشتهر شيوخها بالتخصص فبعضهم تخصص في شرح مختصر خليل وشرح الخرشي وشرح الزرقاني في الفقه المالكي، والبعض في الأحكام والقضاء والفتوى، والبعض الاخر في الفرائض واخرون في رواية الحديث الشريف.

مدرسة القيطنة: تأسست هذه المدرسة بالقرب من مدينة بو حنيفية سنة 1787م على يد مصطفى بن المختار بعد عودته من بغداد عاصمة العلم آنذاك، وتعتبر هذه المدرسة من المدارس التعليمية الهامة في الجزائر، حيث جمعت مدرسة القيطنة بين جميع مراحل التعليم من أدنى مرحلة إلى أعلاها، ومن العلماء الذين درسوا بها أبي راس الناصري (سعد الله، 1998، ص286)

مدرسة المحمدية: وهي من أهم المدارس التي أسسها محمد باي، والتي كان لها صدى واسع في العالم العربي والإسلامي عموما والناحية الغربية على وجه الخصوص، والتي تعتبر أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء، وهي التي أشار اليها أبو راس الناصري بقوله <...المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها .... >.

الزوايا:

الزاوية هي مؤسسة دينية إسلامية ذات طابع اجتماعي تتمثل في مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأحجام والأشكال، تظم بيوت للصلاة وغرف لتحفيض القرآن احتلت الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم خاصة بالأرياف، حيث مثلت المسجد والمدرسة في آن واحد، وهي تقوم بتعليم القرآن الكريم اضافة للفقه والعقائد وقواعد النحو والصرف والبلاغة والحديث، ويقوم بتأسيس هذه الزوايا في الغالب رجال الدين

المتصوفة الذين يرون أن بناءها يمثل عملا خيريا لنشر الثقافة الإسلامية والمحافظة عليها (سعد الله، 1998، ص 266).

تعتبر الزوايا من أهم مميزات العصر العثماني بالجزائر، فكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة إلا ولها زاوية، وكان من بين أهدافها ومقاصدها تعليم وتثقيف الطبقة العامة المعوزة من أبناء المجتمع المتعطش والمحتاج الى ينابيع العلم والمعرفة، وقد أشادت بعض الدراسات التاريخية بالعدد الهائل للزوايا في الجزائر العثمانية، حيث يذكر المؤرخون المهتمون بهذا الشأن بأن زوايا بلاد القبائل كان عددها لا يقل عن أربعين زاوية في طليعتها زوايا سيدي عبد الرحمان اليلولي وسيدي محمد بوقبرين وسيدي علي بن الشريف وسيدي احمد بن إدريس وغيرها، هذا بالإضافة الى زوايا الصحراء (بوسعادة والهامل وسيدي خالد وبسكرة وسيدي عقبة وطولقة وعين ماضي وزوايا ناحية وهران) وهلم جرا.

والواقع ان الزوايا في الجزائر كانت لها مساهمة فعالة ودور ريادي في بناء الشخصية الوطنية الجزائرية وإبراز ثوابتها ومقدساتها، وفي هذا الشأن تقر بعض الدراسات على أن الزاوية هي التي حفظت لهذه الأمة المسلمة قرآنها ولغتها ودينها وأخلاقها الإسلامية أمام المشاريع الإستدمارية الهادفة إلى طمس مقومات الهوية الوطنية، هذا إلى جانب دورها الجهادي إذ ما من ثورة أو انتفاضة أو مقاومة خلال القرن التاسع عشر الميلادي إلا وهو مقرون باسم شيخ زاوية.

ويشهد التاريخ النزيه أن شيوخ الزوايا وابناءهم ومريديهم كانوا أسرع من غيرهم مبادرة لجهاد العدو الاسباني والفرنسي فيما بعد، والجدير بالذكر ان الزوايا في الجزائر قد نجحت في هذه المرحلة من التنظير للبعد الوطني وقيمه في الأوساط الجماهيرية، ومن جهة اخرى تمكنت من تربية الناشئة تربية روحية استندت للتصوف الإسلامي ومقاصده النبيلة. (شودار، 2016، 259)

المحاضرة الثالثة عشر:

ـ المحور الثالث: العلماء ورجال الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني

أـ مكانة العلماء ووظائفهم وميزاتهم:

إن ظهور العلماء كفئة متميزة ليس وليد العهد العثماني لا في الجزائر ولا في غيرها من العالم الإسلامي، فقد بدأ ـ كما نعلم ـ منذ استولى على شؤون المسلمين حكام جهلة ليس لهم صلة بالحضارة الإسلامية واللغة العربية ولا بأمور الدين، ومن ثمة منذ ضعفت الدولة الإسلامية، فجهل الحكام هو الذي مهد لظهور العلماء كفئة متميزة ليسدوا الفراغ كمستشارين ومشرعين ومفسرين. وأصبح شعار العلماء هو أنهم هم حماة الدين ومصابيح الظلام بينما لم يكن الأمر كذلك حين كان الحكام علماء والعلماء حكاما، وبالنسبة للجزائر فإننا نعرف أن دولة بني زيان مثلا قد اتخذت من العلماء مستشارين ومن المثقفين كتابا ومادحين ولكنها لم تفتح وظيفة باسم شيخ الإسلام، ونفس الشيء

يقال عن قسنطينة تحت حكم الحفصيين ومدينة الجزائر قبل أن يجعلها العثمانيون عاصمة للقطر كله.

ولعل كون الحكام العثمانيين في الجزائر غرباء عن الثقافة العربية وعن تاريخ الحضارة الإسلامية والتشريع الإسلامي هو الذي جعلهم، كولاة وسلاطين، يتأثرون بشؤون الحكم من سياسة واقتصاد وجيش وإدارة، تاركين القضايا الأخرى التي لها مساس مباشر بالدين في أيدي فئة أخرى هي فئة العلماء، وهكذا بدأوا في تطبيق القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية، وهو ما يسميه الأوروبيون الفصل بين الدين والدولة. وقد أضاف سلاطين آل عثمان، وعلى رأسهم سليمان القانوني، مجموعة من القوانين المستمدة من العرف ومن حضارات أخرى ومن حالات الضرورة، وأصبحوا هم كحكام المشرفين على تنفيذها، بينما القضايا المستمدة من روح الشريعة الإسلامية ومن تقاليد السلف قد تركت لفئة العلماء تتفذها وتبدئ فيها رأيها، وهكذا بدأ الفصل في تطبيق الأحكام في الدولة الإسلامية الواحدة التي من المفروض أن ولاتها يمثلون الدين والدولة معا، وأن جميع القوانين فيها مستمدة من الشريعة الإسلامية. وبذلك أصبح للحكام مجالهم الخاص في التنفيذ كما أصبح للعلماء مجالهم فإذا تعارض الأمران تغلب أصحاب الجانب الأول لما لديهم من القوة والسلطان، وليس لما لهم من الحق والبرهان (سعد الله، 1998، ص385)

وكان الباشوات في الجزائر هم الذين يعينون العلماء في وظائفهم بينما لم يكن للعلماء دخل في تعيين الباشوات، فقد كان الأوجاق هم الذين يقررون مصير الباشا، فإذا رضوا بقي في الحكم وإذا غضبوا وقعت الثورة وسقط الباشا مضرجا في دمائه أو مدلي من

حبل المشنقة، وفي بعض الأحيان كان الأوجاق يأخذون في الاعتبار سخط العلماء على الباشا، ولكن ذلك لم يكن أمرا ضروريا للإطاحة به إذ كان يكفي تجمع عدد من الجنود عند القصر ودخول طليعة منهم للقبض على الباشا وإعدامه، وكان دور العلماء في هذه الحالات سلبيا، فهم ينتظرون انجلاء غبار الثورة لكي يباركوا للباشا الجديد ويتقدموا إليه بالبيعة والتهنئة وعروض الولاء، وقد وقف بعض العلماء أحيانا مواقف سياسية من بعض الولاة فكان نصيبهم الإعدام كما حدث للمفتي أحمد قدورة مع الباشا محمد بكداش، وكان عزل العلماء من وظيفتهم أخف الضررين كما أن النفي كان أحد طرق التخلص من العلماء.

ب -بعض وظائفهم:

والعلماء فئة احتكرت مجالات معينة في المجتمع، وهي الإفتاء والقضاء والتعليم والإمامة والخطابة ورغم تعدد هذه المجالات فإنها كانت ضيقة ومحددة، ولذلك كثر التنافس عليها بينهم وكان هذا التنافس بدوره سببا في إضعاف دورهم السياسي لأن الباشوات والبايات كانوا يضربون هذا بذاك ويغلبون فريقا على فريق وعائلة على عائلة عند الضرورة، ورغم قرب القضايا التي يعالجونها والوظائف التي يؤدونها من الشعب فإن العلماء وخصوصا في المدن قد ابتعدوا عن الشعب وأصبحوا ينظرون إليه نظرة فوقانية، وكادوا لا يفترقون في تصورهم للمجتمع الجزائري عن العثمانيين أنفسهم الذين كانوا غرباء عن الشعب، فمصالح العلماء وظف لإرضاء الباشوات وكسب ودهم وليس خدمة للشعب والتقرب منه ورفع مستواه، ومن ثمة أصبحت فئة

العلماء طبقة متميزة بالمعنى الحديث للكلمة، لها خصائصها ومصالحها (سعد الله، 1998، ص388)

وكانت بعض الأسر العلمية تتميز بالثراء الغزير فقد لاحظ التمغروطي في أواخر القرن العاشر أن علماء الجزائر تغلب عليهم المادية، فقال : إن حب الدنيا وإيثار العاجلة والافتتان بها غلب عليهم، فمثلا المفتي سعيد قدورة كان ذا مال يشارك به بعض التجار، وجاء في كتاب ابن المفتي أن عمار بن عبد الرحمن المستغانمي كان ينفق على ضيوفه بين ثلاثين وأربعين ريالا في الليلة الواحدة، وقيل عن المفتي أحمد الزروق بن داود أنه كان صاحب ثروة، وكذلك كان العالمان سعيد المقري في تلمسان وعمر الوزان في قسنطينة، ومن المعروف أن عائلة الفكون وابن باديس وابن آفوناس في قسنطينة كانت من العائلات الغنية، والمحافظة على الثروة ومحاولة الاستزادة منها كانت السبب في التنافس الشديد بين هؤلاء العلماء، ولكن العلماء لم يكونوا جميعا أغنياء، فقد كان فيهم الفقراء وبكثرة، وخصوصا أولئك الذين كانوا خارج الوظيف أو الذين كانوا يمتهنون التعليم، ومصادر تكوين أو تخريج العلماء ثلاثة :

الأولى المدرسة الجزائرية: بما في ذلك المساجد والزوايا (التي كانت تصل بالمتعلم إلى نهاية المرحلة
الثانوية وبداية العالية.

الثانية المدرسة المزدوجة: ونعني بها المؤسسة التي يجمع فيها الجزائريون بين دراستهم في الجزائر ودراستهم في الأقطار الإسلامية ثم يعودون لتولي الوظائف.

المصدر الثالث: فهو المدرسة الإسلامية عموما، ونعني بها المؤسسة التي جاءت منها طائفة من علماء المسلمين الذين لم يكونوا جزائريين في الأصل، ولكنهم استوطنوا

الجزائر وتولوا فيها وظائف مختلفة من الإفتاء إلى الإمامة وغيرهما (سعد الله، 1998، ص389)

وكان العثمانيون في أول الأمر يجلبون معهم علماءهم، إما لعدم ثقتهم في علماء الجزائر وإما للقيام بشؤون المذهب الحنفي الذي كانوا يتبعونه كما أنهم ولوا الوظائف الدينية وكلفوا بالمهمات الدبلوماسية علماء من مختلف الأقطار الإسلامية ولم يعتمدوا في ذلك على علماء الجزائر على الأقل في بداية عهدهم، ومهما كان الأمر فإن المدرسة الجزائرية كانت غير كافية لسد جميع الفراغات في الوظائف المفتوحة أمام العلماء ولعل عدم توحد المدرسة في الجزائر قد أضعف أيضا من فعالية فئة العلماء، ذلك أن أصول تعليمهم وطموحاتهم كانت مختلفة في النهاية.

الفتوى:

ولا شك أن أعلى وظيفة كان يتولاها العالم هي الفتوى، ذلك أن الفتوى تحتاج إلى درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلومه وعلوم الحديث والقياس ونحو ذلك، كما تتطلب قوة الشخصية والنزاهة والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق، وكانت شهرة العالم بين الناس في هذه الأمور من بين عوامل ترشيحه لهذه الوظيفة، ونحن نعرف من تاريخ القضاء في الإسلام أن كثيرا من العلماء كانوا يرفضون وظيفة القضاء، ومنها في العهد العثماني وظيفة الفتوى ويفرون منها ويتحايلون بشتى الحيل حتى لا يغضبوا الحكام برفضهم لها، وفي العهد لا نكاد نسمع أن أحدا من العلماء قد رفض أو اعتذر عن قبول وظيفة المفتي أو القاضي بل إننا سنرى أن التنافس عليها كان على أشده (سعد الله، 1998، ص390)

ولم يكونوا يقومون بحقها حق القيام، بل إن معظمهم كانوا ينظرون إليها على أنها مكسب للرزق ومطلب للجاه وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ضعف العلم وضعف أخلاق العلماء أيضا،

ولم يكن الإفتاء وظيفة رسمية قبل العثمانيين، فقد كان العلماء قبلهم يستشارون في المسائل الفقهية وغيرها كأساتذة وشيوخ علم وليسوا كموظفين ملحقين بمصلحة من المصالح في الدولة، فكان العالم إذا اشتهر أمره بين الناس وشاع عنه الورع والنزاهة والتمكن من العلم تتوافد عليه الأسئلة من الجهات الشعبية والرسمية فيسجلها عنده ويجيب عنها بما توصل إليه علمه مضيفا إليها عبارة والله أعلم، وقد وجدنا من هذه الآثار نوازل وفتاوي كتبها علماء كانوا مرجعا في عهدهم وعاشوا قبل العهد العثماني ولم يكونوا موظفين لدى ولاة زمانهم، ومن ذلك نوازل المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، وفتاوي الونشريسي التي ضمنها موسوعته عندئذ للدلالة على فئة الحكام وفئة العلماء، وقد سمى الحكام العثمانيون في الجزائر القاضي الحنفي، وهو أيضا المفتي فيما بعد شيخ الإسلام كما كان يسمى زميله في إسطانبول، وجعلوه مقدما على زميله المفتي المالكي في الحظوة والاعتبار والرأي، رغم أن الأخير كان يمثل مذهب السكان، وبعد عدة أجيال على هذا النمط أصبح المفتي الحنفي لا يعين من إسطانبول وإنما يعين من أبناء العثمانيين المولودين في الجزائر، وذلك بعد أن أصبح الباشا أيضا يعين في الجزائر نفسها من طرف الأوجاق، ويذكر ابن المفتي أن والده حسين بن رجب شاوش، كان أول مفتي حنفي يعين من أبناء العثمانيين في الجزائر، وهم المدعوون بالكراغلة، والمعروف أن حسين بن رجب هذا قد تولى بتاريخ 1102 ه.

وكان المفتي يتولى أيضا وظائف أخرى، مثل التدريس ووكالة الأوقاف والإمامة والخطابة وليس من الضروري أن يجمع المفتي كل هذه الوظائف دفعة واحدة فقد كان له أن ينيب غيره في بعضها، بمن في ذلك أبناؤه، كما فعل سعيد قدورة، وكان يحضر مجلس الشورى الأسبوعي وجلسة الديوان إذا دعي إليها، وإذا اختلف المفتيان تنعقد مناظرة عامة يحضرها القضاة والعلماء والباشا أو ممثله، ويؤخذ الرأي بالأغلبية أو بترشيح الباشا للرأي الذي يميل إليه هو، وفي معظم الأحيان كان الباشا يأخذ برأي المفتي الحنفي، وأحيانا كان يعزل المفتيين معا عند النزاع ويعين بدلهما آخرين، مثل ما وقع لمحمد بن العنابي الحنفي وزميله المالكي سنة 1232، ولم يكن الإفتاء مقصورا على مدينة الجزائر، بل إن كل عاصمة إقليمية أو مدينة كبيرة كانت على نمط العاصمة، فيها أيضا المفتي الحنفي والمالكي، وكانا يقومان بنفس الوظيفة ويخضعان لنفس الظروف ولكن يعينهما الباي أو الحاكم الإقليمي، ومن المعروف أن العثمانيين قد جعلوا في قسنطينة وظيفة شيخ الإسلام في عائلة الفكون وذلك للدور السياسي الذي لعبته في الانتصار للعثمانيين من جهة ولأهمية مدينة قسنطينة من جهة أخرى (سعد الله، 1998، ص393)

القضاء:

ويأتي القضاء بعد الإفتاء في الأهمية، بل إن وظيفة القاضي الحنفي في المرحلة الأولى من الوجود العثماني كانت هي الأساسية لأنها كانت وظلت كذلك وظيفة سياسية – دينية، وكان القاضي بحكم اتصاله المباشر بمشاكل الحياة اليومية على خلاف المفتي، من خصومات وعقود زواج وطلاق، وعقود بيع وشراء، وعقود وقف وكراء - في وضع أخطر من وضع المفتي، وإذا كانت أهمية وظيفة المفتي تعود إلى المكانة

والاعتبار فإن أهمية وظيفة القاضي تعود إلى التنفيذ والممارسة لشؤون المجتمع، ولذلك كان بعض الفقهاء، يعتذرون عنها خوفا من عدم القدرة على القيام بمتطلباتها وتقديرا منهم لخطورتها، وقد كان قضاة الجزائر قبل العثمانيين مالكية، كما كان للإباضية قضاتهم.

ومع الباشوات جاء القضاة أيضا إلى الجزائر للحكم بمقتضى المذهب الحنفي، ولذلك أصبح في الجزائر قاضيان في كل مدينة رئيسية، أحدهما للمذهب الحنفي والآخر للمالكي. وتحت هذين القاضيين مجموعة من القضاة المنتشرين في أنحاء الأقاليم، وكان القضاة أحيانا ينيبون عنهم غيرهم أيضا أو يعين الباي خليفة للقاضي. ومن هذا النوع ما تحدث عنه الفكون في كتابه: منشور الهداية وسماه: (نيابة قضاء العجم)، وهو يعني بهم الأتراك، وبالإضافة إلى ذلك كان هناك قضاة يتبعون الحملات العسكرية في الداخل والغزوات البحرية في الخارج وكانوا يسمون بقضاة العسكر ولهم أهمية كبيرة، وكان منصب القضاة أيضا مدعاة للتنافس بين العلماء ففيه بالإضافة إلى الجاه والنفوذ، المال وأكل مال الأوقاف وأموال اليتامى، كما اشتهر معظمهم بالجهل لأحكام الدين وإصدار الأحكام جزافا (سعد الله، 1998، ص 394)

الخطابة:

وكانت الخطابة هي الوظيفة الثالثة في الأهمية، وكانت مقاييسها صعبة لأن الجمهور يشترك في الحكم على الخطيب بخلاف المفتي والقاضي اللذين يتوليان وظيفة سياسية – دينية، ومن شروط الخطيب الفصاحة وجودة الصوت وسعة الاطلاع والجرأة الأدبية. ومن الطبيعي ألا تكون هذه هي كل الشروط التي وضعها الجاحظ للخطيب، ولكن في الجزائر العثمانية كان يكتفي ببعضها على الأقل. وكان الخطيب يؤدي صلاة

الجمعة وصلاة العيدين، وأحيانا يجمع إلى ذلك الصلوات الخمس، فهو بذلك إمام أيضا. غير أن بعضهم كان يقوم بالإمامة في جامع والخطابة في آخر، كما كان سعيد قدورة في أول الأمر، وكان العلماء يتنافسون على وظيفة الإمامة والخطابة كما يتنافسون على الإفتاء والقضاء، وكان بعض الخطباء لجرأتهم وفصاحتهم وصلتهم بالجمهور يثيرون خوف الحكام فيحذرون منهمّ، وقد يبثون حولهم العيون إذا تكاثر الناس من حولهم، وقد يعزلونهم أو ينقلونهم اتقاء لشرهم، كما وقع لقرباش أفندي، خطيب الجامع الجديد وهناك خطباء يفخمون الخطبة ويجعلون لها شأنا عظيما وسمعة كبيرة، مثل مصطفى بن عبد الله البوني، وهناك من يهينون الخطبة وينفرون الناس من سماعها، ونفهم من ابن المفتي الذي عالج هذا الموضوع أكثر من غيره فيما نعلم، أن محمد خوجة بن مسلم قد صان الخطبة وجعل لها شأنا بالبقاء في داره بدل الجلوس في المقهى، كما كان يفعل بعض من سبقه، ولأهل الحي دور في اختيار الخطيب، فهم الذين يرشحون للباشا من استحسنوا صوته وفصاحته وعلمه وأخلاقه ليكون خطيب جامع حيهم، وليس هناك سلطة للمفتي على الإمام والخطيب ومتى عزل؛ وتخلى عن الخطابة والإمامة يعود العالم إلى عمله الأصلي وحياته العادية كبقية الناس (.سعد الله، 1998، ص 395)

مؤسسات القضاء خلال العهد العثماني:

منذ الفتح الإسلامي، يلاحظ سير مؤسسة القضاء على تعاليم الشريعة الإسلامية، ووفق المذهب المالكي بصفة خاصة، وذلك إلى غاية دخول العثمانيين إليها والحاقها رسميا بالدولة العثمانية سنة 1519. حيث أصبح مذهب السلطان العثماني هو المذهب السيد في كل الولايات العربية التابعة لحكم العثمانيين، ومن بينها الجزائر. التي أصبحت فيها

المكانة الأولى للمذهب الحنفي. أما المذهب المالكي فكان في المرتبة الثانية وله قضاته ومفتوه في كل الأجهزة القضائية بالجزائر من مجلس الداي إلى مجلس الجماعة.

وإذا قلنا أن القضاء بالجزائر كان إسلاميا خلال العهد العثماني، فإننا لا ننزهه مما وقعت فيه مؤسسة القضاء خلال هذه الفترة من بُعدٍ عن تطبيق تعاليم الشرع الإسلامي الحنيف " فقد كان الجزائريون يحجمون على تقديم تظلماتهم ودعواتهم للسلطات التركية ضد الموظفين الذين اعتدوا على حقوقهم وحرياتهم لصعوبة تحقيق ذلك لسبب انتشار الدسائس والمحاباة وسيطرة الروح الإنكشارية العسكرية والتعصب من قبل الحكام بالإضافة إلى السلطات المطلقة التي كان يحوزها الدايات والبايات والآغات ولاسيما في أواخر العهد التركي بالجزائر". (عبيد، 2013، ص 214).

واقع القضاء:

كان القضاة والمفتون بداية العهد العثماني يعينون من الباب العالي رفقة الباشوات. وكانت مدة توليهم منصب القضاء محددة بادئ الأمر بسنتين تنتهي بالعزل من الوظيفة. وقد يتولون وظائف أخرى بعدها. مثلما حدث مع المفتي الحنفي مسلم أفندي وابنه محمد الذي خلفه في الإفتاء، حيث اشتغل الأول بعد نهاية عهدته القضائية بالجمارك، فيما اشتغل ابنه بعد ذلك في مؤسسة سبل الخيرات.

ورغم اختلاف المذهبين بالجزائر بين حنفي ومالكي، فقد كانت الفئات الاجتماعية حرة في اختيار المحكمة التي يتجهون إليها. فكان الأحناف يتقاضون عند القاضي المالكي، كما كان المالكية يتقاضون عند القاضي الحنفي، وفي هذا ضرب لنا الأستاذ خليفة حماش أمثلة من ذلك فكتب: "ومع أن المحكمتين منفصلتان إحداهما عن الأخرى، وكل منهما على مذهب فقهي مستقل، إلا أن رفع النزاعات إليهما من جانب أفراد المجتمع لم يكن يتحكم فيه التوجه المذهبي للمتنازعين. فوجد أن الأحناف كانوا يترافعون في نزاعاتهم إلى المحكمة المالكية وإلى جانب ذلك، فقد وجد من المالكية من يترافعون في نزاعاتهم إلى المحكمة الحنفية، والملاحظ أن القاضي لم يكن يتولى هو

أو أعوانه المباشرون كل الأمور بصفة مباشرة، وإنما كان يساعده في مهامه المحتسب، والوكيل، والناظر، والمزوار، والشواش. فالمحتسب هو من يراقب الأسواق في كل ما ذكرنا. والوكيل هو من يشرف على الحبوس (الأوقاف). والناظر هو المشرف العام على كل الوكلاء. والمزوار هو من يقوم بدور مسؤول الشرطة فيما يتعلق بالأخلاق العامة، والمخالفات الاجتماعية، وحراسة زنزانات السجون، ومراقبة حركة المومسات والإشراف على تنظيمها. ومعاقبة المنحرفات منهن اللواتي ينشط دون رخص، أو اللواتي لم يقدمن الهدايا للمزوار في وقتها. كما كان يتولى تعزير المخلّين بالآداب العامة أيضا. فيما كانت مهن الشواش متعددة من حراسة السجون (باش سيّار)، وإلقاء القبض على العصاة من الأتراك ومعاقبتهم (باش سايس)، والدلاّل (التعريف بالسلع في الأسواق وتحبيبها للمشترين مقابل مبلغ يقدر عموما بـ 01 درهم من كل 01 دينار عن السلعة المباعة فعلا). والبراح وهو الذي يعلن عن مختلف القرارات والأوامر الصادرة عن الإدارة أمام الملأ بالمدينة. (عبيد، 2013، ص 216 -217)

مؤسسات القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني:

1- مؤسسة الجماعة:

كانت مؤسسة الجماعة خلال العهد العثماني على قدر كبير من الهيبة والاحترام والوثوق في أعيانها وأشرافها ومرابطيها. ولذا كان الصلح بين الأفراد أو الجماعات يتم من خلالها، كان أعضاء مؤسسة الجماعة هم الرجال القادرون على حمل السلاح، هذا بالنسبة إلى القبيلة الواحدة. أما إذا كان الخصام بين أكثر من قبيلة، فإن المؤسسة في هذه الحالة تضم أعيان القبائل المتخاصمة. وكانت تعقد جلساتها في الساحات العمومية أو في الأسواق الأسبوعية تحت رئاسة شيخ القبيلة أو أمين نقابة الأشراف إن كانت من القبائل المنحدرة من أصول شريفة. حيث يطرح المدعي شكواه على أمين النقابة أو على شيخ القرية الذي يتولى بدوره طرحها على مجلس الجماعة لينظر فيها ويبتّ فيها بالحكم على الشريعة الإسلامية وفق فقه المذهب المالكي بعد أن يستمع الحضور لشهود المتخاصمين. وقد يتم حل القضية نهائيا كما قد تؤجل إلى جلسة أخرى.

أما القضايا المستعجلة فقد تعقد لأجلها جلسة طارئة، لأن المتعارف عليه في عقد الجلسات العادية للجماعة هو أنها كانت تعقد مرة واحدة كل أسبوعين، كما قد تلجأ الجماعات المتخاصمة في حالات عدم الاتفاق إلى محكّم لا ينتمي إلى القرى المتخاصمة، ممّن يرضى عنه مجلس الجماعة، وقد يكون هذا المحكّم شيخا مشهودا له بالعدل أو عالم فاضل ليحكم بينهم. (عبيد، 2013، ص 218)

ولم يكن باستطاعة الجماعة أن تقضي بالأحكام الخطرة كالإعدام، الذي كان من اختصاص المجالس العلمية بعواصم الأقاليم، وهي المتمثلة في محكمة الباي في الأقاليم الثلاثة أو محكمة الداي بمدينة الجزائر عاصمة دار السلطان. إلا إذا حلت القضية عن طريق التصالح ودفع الدية، أو تجاوزت الأمور مجلس الجماعة بحيث تم الانتقام من الفاعل عن طريق الثأر. وعدم النظر في الأحكام الخطرة هذه، هو أمر موروث عن الدولة الزيانية التي لم يكن من حق قضاة العمالات ولا قضاة مدنها أو قراها النظر في "أمور الدماء والأمور العظام" التي كانت من اختصاص قاضي الحضرة (قاضي القضاة أو القاضي الرئيسي) أو بتفويض رسمي منه.

2- القاضي الشرعي:

يعتبر الداي من الناحية المعنوية القاضي الأعلى بالبلاد، ويتولى شخصيا تعيين القاضي الشرعي بمدينة الجزائر عاصمة دار السلطان، بينما يتولى الباياات في مقاطعتي قسنطينة ووهران والتيطري تعيين قضاة الشرع. ويساعد القاضي الشرعي في أداء مهامه كل من الباش عدل، والعدل، والكتّاب، والمحضرون، والشواش (جمع مفرده شاوش أي الشرطة) وذلك لتأمين جلسات المحاكمة التي كانت تعقد إما في المساجد أو في الساحات العمومية أو الأسواق.

ومن الفقهاء من كان يرى أحسن مكان للتقاضي هو المسجد: "يستحب له (القاضي) أن يقضي في المسجد وهو من الأمر القديم لأنه يصل إليه فيه الضعيف والمرأة والقوي"، وكانت جلسات المحاكمة الحنفية تعقد في مسجد السيدة، فيما كانت جلسات المحاكمة المالكية تعقد بالمسجد الكبير.

وكان بإمكان المتخاصمين اللجوء إلى البايات أو إلى الداي لنقض الحكم الصادر عن القاضي الشرعي، وهنا تعالج القضية على مستوى المجلس العلمي للباي، ويصدر حكمه الذي يصبح ناسخا للحكم الأول الصادر عن القاضي الشرعي. أما إذا رفعت القضية إلى الداي فتعالج على مستوى مجلس الداي الذي يصبح حكمه أيضا ناسخا وملزما ونهائيا. (عبيد، 2013، ص 219)

3- المحكمة الشرعية:

تنقسم المحكمة الشرعية حسب الفقه السائد بالجزائر خلال العهد العثماني إلى محكمتين اثنتين، هما المحكمة الشرعية الحنفية، والمحكمة الشرعية المالكية. وهما بمثابة محكمتان ابتدائيتان، يرأس الأولى القاضي الحنفي، فيما يرأس الثانية القاضي المالكي.

وكانت محكمتا مدينة الجزائر متجاورتان تقريبا حيث كانت المحكمة الشرعية المالكية بوسط المدينة بالقرب من الباديستان (السوق الكبيرة) وهي المنطقة التي كانت تعتبر مركز الشريان الاقتصادي بالمدينة. وإلى الشمال منها تقع المحكمة الحنفية الواقعة بالرحبة القديمة. ويساعد كل قاض في محكمته عدد من العدول، يتولون تحرير العقود، ومحاضر النزاعات، والإشهاد فيها، وإقامة الفرائض، والتحقيق في المسائل القضائية. ويبلغ عددهم في كل محكمة حسبما ذكر فونتير دو بارادي، اثني عشر عدلا.

4- المجلس العلمي:

يسمى المجلس العلمي كذلك بالمجلس الشريف ومجلس الشرع العزيز، ولكن هذين التسميتين تبدوان مقتصرتين على المجلس العلمي لمدينة الجزائر. ويضم المجلس العلمي قاضيين الأول حنفي والثاني مالكي، ومفتيين الأول حنفي والثاني مالكي، وضابط عسكري يعقد اجتماعاته في المسجد الجامع بعاصمة الإقليم مرة واحدة كل أسبوع.

ويلعب المجلس العلمي في كثير من الأحيان دور المحاكم الابتدائية حين ترفع إليه القضايا مباشرة دون المرور عن الجماعة. كما يعتبر محكمة استئنافية في حالة أن طعن المدعي في حكم قاضي الجماعة، والتي يصبح حكمها لاغيا أمام حكم المجلس العلمي. (عبيد، 2013، ص 220)

5- مجلس الداي أو الباشا:

يضم مجلس الداي أو مجلس الباشا سابقا نفس تركيبة المجلس العلمي للمقاطعات، وهو بمثابة أكبر مجلس في الجزائر خلال العهد العثماني، ولذا كان بمثابة المحكمة العليا. حيث يضم المفتيين الحنفي والمالكي، والقاضيين الحنفي والمالكي والعدول والشواش ويرأسه الداي شخصيا. كما يضم أحيانا ضباطا من الجيش في حالات الصراع بين الداي والانكشارية. وينعقد مجلسه بدار الإمارة ولذا يسمى أحيانا بمجلس الإمارة أي بمقر الداي بمدينة الجزائر.

وكان مجلس الداي يتولى القضايا التي رفعت إليه من جملة القضايا التي لم تُحلّ على مستوى المجالس العلمية بالأقاليم الثلاثة. كما كان من حق المواطن أن يرفع قضيته مباشرة إلى دار الإمارة، وعند وصوله ينادي بكلمة "شرع الله" فتفتح له أبواب قصر الديوان وهناك يقابله الداي شخصيا فيعرض عليه مظلمته، ويكون الحكم نهائي غير قابل للطعن.

هذا، ولم يكن لمجلس الداي موعدا محددا، وإنما يكون على مدار الأسبوع، حسبما تسمح به انشغالات الداي وتوفر الوقت الكافي لديه لاستقبال المتخاصمين.

ولم يكن يشترط الحضور الشخصي في المرافعات، فقد كان ممكنا حضور الولي أو الوكيل، وأحيانا تكليف أكثر من وكيل في قضية واحدة في محاولة للتمسك بالدفاع عن الحق. أو حضور الابن مثلا نيابة عن أبيه المتخاصم. شرط أن يثبت وثيقة مكتوبة شهد عليها شاهدان. أما النساء فكنّ قليلات الحضور فعادة ما يتكفل بأمورهن الوكلاء من

الأولياء أو الأبناء أو الإخوة أو أبناء الإخوة أو أبناء الأخوات أو الأصهار أو ممن تكلّفه المرأة المعنية نفسُها. (عبيد، 2013، ص 222)

المحاضرة الرابعة عشر:

الاهتمامات العلمية والثقافية للعلماء:

أ- **الاهتمام بالتدريس**: كان التدريس أقل المناصب تنافسا بين العلماء، باعتبارها من الوظائف العامة لهم، وكان تعيين العلماء والمدرسين في الوظائف التعليمية لا يخضع لإرادة الحكام، وقد ارتبطت بوظائف أخرى كالمفتي والخطيب، كان المفتي يتولى الإمامة والخطابة والتدريس، في حين لا يمكن للمدرس أن يكون مفتيا ولا خطيبا، تقتصر مهمته على التدريس فقط ، ويمكن أن نصف نوعين من المدرسين معلمو المدن ومعلمو الأرياف والفرق بينهم في التصنيف والدرجة؛ فمن يدرس الشباب هو أستاذ وشيخ ومن يدرس الفتيان هو معلم أو مدرس ومن يدرس الأطفال فهو مؤدب، وهو الذي يتم اختياره من قبل سكان الحي بالمدن، في حين يقوم سكان الريف والدوار باختيار مؤدب الصغار. أما في مسالة تعيين المدرس فيتم تعيينه من قبل الباشا أو خليفته، أما في البايليكات فيتم تعيينه من قبل الباي أو حاكم الدار، أما في الريف فيختار من قبل شيخ القبيلة، كما وجد من عرف بالمعلمين الزائرين وهم الذين لا يتقاضون أجرا، وهذا ما كان يفعله "الورتيلاني" حينما يزور بجاية كل عام خلال شهر رمضان بقوله: "ناويا الرباط، وتعليمي للطلبة راجيا أن يكون لي حظ وافر منهم ونصيب كامل من عندهم"، وهناك كثيرا من علماء الجزائر خلال العهد العثماني اشتهروا بالتدريس، وفضلوه على باقي الوظائف، فقد عرف "أبو الرأس الناصري" بطريقة تدريسه وفصاحة لسانه وإلمامه الواسع بالمواضع التي يعالجها ، مكرسا حياته في التأليف والتدريس لمدة تزيد عن ست وثلاثين سنة بلا انقطاع، مع تولي مناصب ومهام أخرى

منها الفتوى والقضاء والخطابة، وهذا "سعيد المقري" كرس حياته في التدريس وخرج مجموعة من تلاميذه مثل ابن أخيه "أحمد المقري"، و"سعيد قدورة"، واشتهرت أسرة "سعيد قدورة" وأبناؤه بالتدريس، خاصة محمد الذي عرف بفصاحة لسانه وكثرة علومه، ويعتبر "عمر بن محمد الكماد القسنطني" المعروف "بالوزان"، و"أحمد بن عمار" من الذين كرسوا حياتهم للتدريس ورفض تولي منصب القضاء والتقرب من الحكام، ورغم ضعف الحركة الثقافية وتراجع دور العلم والعلماء، إلا أن حركة التأليف تميزت بكثرتها وديمومتها، بحيث لا نكاد نجد عاملا إلا وله مؤلفات كثيرة في شتى العلوم(مخفي، 2017، 373)

ب- الاهتمام بالتأليف: ورغم ما قيل عن المجال الثقافي عن الجزائر العثمانية، إلا أن حركة التأليف كانت كثيرة ونشيطة، بحيث لا نكاد نجد عاملا إلا وله مصنفات عديدة وفي جميع المجالات، ولم تمنع مهام الوظائف الدينية والثقافية التي توالها العلماء، من وجود حركة التأليف والنسخ كوسيلة لانتشار الكتب سواء من خلال جهود العلماء أنفسهم أو بتشجيع من بعض الحكام العثمانيين في بعض الفترات، مثل الباي "صالح " والباي "محمد بن عثمان الكبير" الذي شجع الطلبة والكتبة على نسخ الكتب، واختصار ما طال منها، وكان يكافئهم بسخاء ويذكر الشيخ "المهدي البوعبدلي"، أن الباي قد عين لها مدرسين أكفاء، وعلماء أجلاء، كالشيخ "الطاهر بن حواء" والشيخ "محمد المصطفى بن زرفة"، والشيخ "أبو رأس الناصري" الذي تولى التدريس بالمدرسة سنتين، وقد اشتهر العديد من العلماء بالتأليف، منهم "أبو رأس الناصري"، الذي قال عنه "أبو القاسم سعد الله" : »أكثر أبو رأس من التأليف كثرة لا يضاهيه فيها من الجزائريين أحد حسب علمنا باستثناء أحمد البوني الذي تجاوزت تأليفه المائة«، ومنهم "أحمد المقري" الذي غلب عنده التأليف على التدريس، وهناك من ترك القليل من المؤلفات منهم "محمد التواتي" و"عمر الوزان" و"سعيد قدورة" الذي كانت كتبه عبارة عن دفاتر صغيرة وعبارة عن شروح وحواشي، و"علي الأنصاري" الذي كانت تأليفه عبارة عن منظومات وشروح. ويتضح من ذلك تنوع مؤلفات علماء الجزائر

خلال العهد العثماني الذين كتبوا في كل علوم عصرهم، كعلوم القرآن والتفسير والقراءات والحديث والفقه والتوحيد والتصوف والنحو واللغة والبالغة والعروض والمنطق والأصول والتراجم والأنساب والتاريخ والشعر، مع احتوائها على العديد من الطرائف، والنوادر والأخبار والحكايات، والاستطرادات المتنوعة، ولم تكن الأحداث التي عرفتها إيالة الجزائر غائبة عن مؤلفات العلماء، سواء بإيعاز ذاتي في إطار تخليد و تمجيد البطولات، أو بإيعاز من الحكام، كما حدث في فتح وهران الثاني 1206هـ / 1791م الذي كان حدثا هاما، كلف الباي "محمد الكبير"، كاتبه الخاص "ابن زرفة الدحاوي" بتسجيل وقائع الفتح، والتي لخصها في مؤلفه "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية". واشتهر "أبو رأس الناصري" بتأليف العديد من المؤلفات معتمدا على التنقل والرواية، ويعتبر كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" وهو شرح وترجمة قصيدة طويلة (1181 بيتا)عنوانها "نفيسة الجمان في فتح ثغر و هران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان" والتي وضعها وهو عائد من الحج وبلغته الأخبار وهو بجربة التونسية، واحتوى على جزأين. يعتبر (أي عجائب الأسفار) مصدرا أساسيا فيما تعلق بتأسيس المدن وأنساب القبائل ومراحل فتح وهران وبإنجازات "محمد الكبير، كما تحركت عواطف علماء آخرين، فكتبوا يؤرخون للحدث، ومنهم الفقيه "أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون" صاحب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، وهو عبارة عن أرجوزة في فتح وهران الثاني، يدور محورها حول الإشادة بفاتحها "محمد الكبير" لكنها احتوت على أحداث تاريخية من مصادر مختلفة، سجل روايات معاصريه مما جعله مؤرخا وكاتبا ناقلا، للأحداث ملتزما الصدق والحقيقة. فالكتاب يعتبر مصدرا حول حياة "محمد الكبير" وإنجازاته وحياة الحكام الذين سبقوه، مع تركيزه على جهودهم. في استرجاع وهران. ومن المصادر الأساسية عن الحياة الثقافية والاجتماعية لبايلك الغرب، مع ذكر تاريخ وهران ومدينة الجزائر. (مخفي، 2017، 373-374)

عرف "محمد بن هطال" بمصنفه رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الذي خلد وقائع رحلة الباي للجنوب الغربي وإخضاعها والحد من نفوذ الطريقة التيجانية، وإن كان تسجيل الكثير من الأحداث خلال الحملة أكسبها طابع الرحلة من خلال وصف سير الحملة باليوم والساعة، وتقييد الأماكن والآبار والعيون، وما تحصل عليه الباي من غنائم وجباية الضرائب، دون أن يهمل علاقة الرعية بسلطة البايلك، بل قدم انتقادا لسياسة الحكام والجنود ضد السكان في جمع الضرائب بعد انعزال "ابن ميمون" من المناصب الدينية بسبب الحاسدين من علماء معاصرين له فلجأ إلى التأليف، واشتهر بمؤلفه الذي عنونه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية"، الذي ألفه في سيرة الداي "محمد بكداش" تقديرا ومحبة له ورغبة في التقرب إليه، مشيدا بخصال ومحاسن بكداش، وإرجاع نسبه إلى النسب الشريف وغير ذلك من عبارات التعليم والثناء المبالغ فيهما، إضافة إلى احتواء تحفة "ابن ميمون" على مجموعة من المقامات ذات عناوين مستقلة، والتي تحتوي معلومات تاريخية ذات أهمية عن أوضاع إيالة الجزائر مع مطلع القرن الثامن عشر أبرزها فتح وهران الأول، وهناك بعض تأليف التي ساعدت على رسم الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية التي عرفتها الجزائر خلال الحكم العثماني، وهناك مؤلفات عبارة عن تراجم الشخصيات سياسية وعلمائية مثل مؤلف "البستان" "لابن مريم"، و"منشور الهداية" لـ"ابن الفكون". فكتاب "منشور الهداية" للفكون يضم معلومات هامة تتصل بالحياة الثقافية والاجتماعية والحياة السياسية خلال القرنيين العاشر والحادي عشر الهجري الموافق السادس والسابع عشر الميلادي، إذ نستطيع أن نقف على ما كتبه في هديته عن الواقع الثقافي والحياة الدينية، من أخبار الكتاتيب والزوايا ونشاط العلماء ومراسلاتهم وطرق التدريس، والخناق الذي فرضته السلطة على العلماء كما ضمنه مجموعة من التراجم بلغتّ خمسة وسبعين شخصية قسنطينية من العلماء، إلا أن الهدف من كتابه كان هدفا إصلاحي ويعتبر "الحسين بن محمد الورتيلاني" نموذجا لهؤلاء العلماء، يذكر في رحلته التي انتهى من إملائها سنة 1162هـ تحت عنوان "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، تعتبر الرحلة من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في التعرف على أوضاع البلدان

منه الجزائر في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي، حيث سجل الوضع الاقتصادي والاجتماعي ونقل صورة صادقة عن الوضع الثقافي، خاصة ترجمة للعديد من الأولياء والصالحين والأشراف فيذكرهم بالوقار والعلم والصلاح ويذكر كراماتهم ، وإن كان قد سبقه "الصباغ" و"ابن مريم" و"البطيوي"، وفي الصدد نفسه يأتي "أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي"، الذي ترك العديد من التصانيف منها في التصوف بعنوان "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا والآخرة"، و"تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء"، وهو عبارة عن فهرسة لشيوخه، وهي تشبه كتاب "فتح الإله منته" "لأبي رأس الناصري"، غير أن رحلته الملعونة "بماء الموائد" أو "الرحلة العياشية" من أبرز مصنفاته، والتي وصف فيها طريق الحج المغربي المعروف بطريق الصحراء الشمالية، عرض الأوضاع الاقتصادية (الزراعة والصناعة) والاجتماعية دراسة للمجتمعات من العادات، والتقاليد، والعمران، والأوضاع الصحية للمناطق التي مر بها، إضافة إلى المعلومات عن الأحداث الجغرافية والتاريخية والأماكن والمعارك، والأبرز من ذلك تعتبر تعبيرا صادقا عن الأوضاع الثقافية للعصر، بالحديث عن العلماء والفقهاء والأولياء والدراويش والزوايا والطرق الصوفية، والمكتبات خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي والإجازات .(مخفي، 2017، 375-376)

وفي إطار أدب الرحلة والتاريخ دائما، يأتي مصنف "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" والعروف لـ"عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري"، والتي جاءت في شكل مذكرة شخصية لما عايشه وشاهده من أحداث لفترة أربع سنوات من حياته(1156-1161هـ/1743-1748م) ، احتوت أخبار عن الجزائر والمغرب دون المشرق عكس الرحالات الأخرى، تزخر بمعلومات تاريخية واجتماعية وثقافية، تميل إلى دقة الوصف والصدق والموضوعية، يذكر الأماكن، والمعاملات عقودها وأحكامها، الأسعار والنقود، المواسم والأعياد، علاقة العلماء ببعضهم البعض ومجالسهم، الإجازات والشهادات، كما ترك "ابن حمادوش" مصنفا في علم النبات والتداوي

بالأعشاب المعروف "بكشف الرموز في بيان الأعشاب"، وينسب إليه رسالة صغيرة في وظائف واضطرابات الجهاز التناسلي تحت عنوان "تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج . "وكذلك مؤلف "أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر لـ"مسلم بن عبد القادر"، حول الأحداث التي عرفها بايلك الغرب وأبرز باياته بداية من "محمد الكبير" نهاية "بحسن بن موسى"، مع إبداء رأيه في تصرفاته اتجاه العلماء والرعية؛ وله عدة تصنيف منها شرح في المفردات اللغوية "نظم الجواهر في سلاك أهل البصائر" والذي شرحه "أبو رأس الناصري" بطلب من صاحبه، فوضع له عنوان مختصر بعنوان "أسماع الأصم وشفا السقم في الأمثال والحكم "، أما العطار، فقد أبدى منذ صغره ولوعا بالتاريخ والأخبار، فقد ترك عدة مؤلفات أبرزها "تاريخ قسنطينة" وإن كان المؤلف عرف بعناوين عديدة منها كتاب "الأخبار المبيتة لاستيلاء الترك على قسنطينة" أو "الأخبار في تاريخ قسنطينة وفريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها"، ومهما يكن يعتبر الكتاب من أوائل الكتب التي عالجت تاريخ قسنطينة بتفصيل وذكر أحداث لم يذكرها غيره، من تاريخ أخر بايات قسنطينة، أما مؤلفه "سنين القحط والمسبغة"، تعرض فيه للأوضاع الاقتصادية وسنين القحط والغلاء (مخفي، 2017، 376)

المحاضرة الخامسة عشر:

دورهم الاجتماعي (مواقفهم من بعض القضايا الاجتماعية)

انتقاد الأوضاع الثقافية والدينية :ظهر علماء نجباء رفضوا الوضع القائم وحاولوا تحطيم أغلال الجمود والتقليد، فهذا "يحي الشاوي" كان كثير الانتقاد لأهل عصره من العلماء بسبب جمودهم وتقاليدهم ورفضهم لكل جديد أما الشيخ "محمد البوزيدي" حين انتصب للتدريس بجامع القصبة في قسنطينة في علم التوحيد، قال «:إن المقلد غير مؤمن وأن العامة مختلف في إيمانها» إذ كان الكثير من العلماء مجدوا الأولياء وذكروا كراماتهم وكتبوا أقوالهم وأفعالهم من خلال مؤلفاتهم مثل "ابن مريم" في بستانيته، والأغا المزاري" في "طلع سعد السعود"، في المقابل انتقد آخرون تماما، منهم الشيخ "عبد الكريم الفكون" الذي اتخذ من مؤلفه "منشور الهداية "سيفا مشهرا على أهل من ادعى الولاية والعلم من أهل الزندقة والبدع الدجالين بوجه خاص، وجاء انقلابا على الأوضاع السائدة التي أصبح فيها الجهلة والمشعوذين أدعياء للعلم، والعلماء أصبحوا في الدرجات الدنيا. (مخفي، 2017، 378)

الاهتمام بالسياسة: عرفت فترة الحكم العثماني بالجزائر أحداثا تاريخية كثيرة منها أحداث داخلية، وإقليمية، ودولية، لم يكن العلماء والمرابطون بعيدين عنها بحكم معاصرتهم ومعايشتهم لها، فخصصوا لها حيزا من كتابتهم ومؤلفاتهم، مما يدل على اهتمامهم بأوضاع البلاد والعالم، وأوضاع المسلمين خاصة، وأوضاع غير المسلمين عامة. لقد اهتم علماء الجزائر خلال العهد العثماني بالأحداث والتطورات الداخلية والخارجية، اهتم "ابن سحنون" بأخبار الثورة الفرنسية، وكتب "أبو رأس الناصري" في أثر الحملة الفرنسية على مصر، وعن الحركة الوهابية، وكتب "ابن العنابي" عن إصلاح الجند ودعا إلى الأخذ بالنظم الغربية

رغم الشروط التي وضعها حكام الجزائر خلال العهد العثماني للعلماء والمرابطين في القضايا السياسية، وهي عدم تدخلهم في شؤون السياسة والحكم، وحصر دورهم السياسي في تأييد السلطة، مع فسح المجال الثقافي لهم في تولي المؤسسات الدينية والثقافية، منذ البداية رسم باشوات الجزائر خلال العهد العثماني علاقتهم بالعلماء ووضعوا الخطوط الحمراء على أنه رجل الحرب والسياسة، وأن العلماء هم رجال

العلم والقلم لا يجوز لهم التدخل في أمور الحرب والسياسة وإن تجاوزوا ذلك الحقتهم لعنته وسخطه . كان للعلماء دور سلبي في الحياة السياسية وشؤون الحكم، إذ لم يكن لهم دور في انتخاب أو اختيار أو تنصيب حاكم الجزائر وباقي مجلس أعضاء حكومة الداي، واقتصر دورهم في حضور اجتماعات الديوان بمناسبة مراسيم تعيين الحاكم الجديد، إذ كان للأوجاق الدور الفعال في اختياره وتنصيبه وتحديد مصيره، من خلال العزل أو الاغتيال، في حين كان العلماء والمرابطين ينتظرون انقشاع الضباب والرؤيا بعد ثورة الأوجاق على الباشا بقبول الأمر الواقع بتقديم التبريكات والبيعة والولاء، تجنبا لغضب الباشا أو الداي (مخفي، 2017، 379)

ـهجره العلماء وأثارها المختلفة على الحياة الثقافية:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني (1520- 1830) هجرة واسعة لعدد هام من علمائها نحو مناطق عديدة من العالم الإسلامي، و خاصة نحو المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي، مما شكل نزيفا خطيرا وأثر تأثيرا سلبيا على الحركة العلمية في الجزائر آنذاك. وقد تعددت الأسباب والدوافع التي دفعت بهؤلاء العلماء إلى المغادرة، ومن بينها تراجع الحركة العلمية وتدهور التعليم في تلك المرحلة حسب ما تؤكده بعض المصادر، وهي الظاهرة التي مست معظم العالم الإسلامي، فلا نكاد نصادف خلال هذه المرحلة إلا عددا قليلا من العلماء الذين ذاع صيتهم. ولم يكن هذا غريبا على تلك الفترة، خاصة وأن الأتراك العثمانيين ركزوا كل اهتمامهم على حركة الجهاد البحري وصد هجمات الأوربيين (الكفار) المتتالية على سواحل الجزائر، ولهذا لم يولوا الثقافة الاهتمام الذي تستحقه، فغلب على عهدهم الجمود الفكري والثقافي، وربما كذلك لأنهم كانوا أعاجم لا يتقنون لغة أهل البلد. غير أن هذا لا ينفي أبدا وجود حركة ثقافية ورثتها بعض الحواضر كتلمسان وبجاية ومازونة وقسنطينة عن الفترة السابقة للعهد العثماني، فكان نتاج ذلك أن نبغ عدد هام من العلماء تركوا لنا رصيدا علميا وأدبيا معتبرا، ويضاف إلى ذلك أن بعض الحكام، خاصة الدايات، شجعوا العلم والعلماء، ومن هؤلاء محمد بكداش (1707- 1710)، الذي كان له نصيب وافر من العلم، فقرب إليه العلماء

والأدباء الذين أصبحوا من جلسائه، مما أثر إيجابيا على تطور الحركة الأدبية، وأخذ الأدباء يقرضون الشعر ويكتبون النثر في شتى المجالات (الطمار، 1980، 310) ومنهم محمد بن ميمون الجزائري الذي سجل أحداث فتح وهران الأول عام 1708م في قصيدة طويلة سماها" التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية."

أ- هجرة العلماء من الجزائر:

إن حركة الهجرة والتنقل بين البلدين المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى كانت ظاهرة قائمة قبل القرن 10ه / 16م والملفت للانتباه أن هذا التنقل شمل فئة العلماء والمثقفين خاصة خلال القرن المذكور إذ لم تكن ثمة عراقيل أو مشاكل حدودية تمنع تنقل هؤلاء الأشخاص من وإلى البلدين ذلك أن تنقل المثقفين والدارسين بين المغرب والجزائر كتنقل سكان الجزائر بين مدينتي وهران وتلمسان، وسكان المغرب بين مدينتي فاس ومكناس، لقد كانت الصلات الثقافية والاجتماعية بين أجزاء المغرب الاسلامي قائمة طيلة الفترة الاسلامية، ساهمت في تمتينها الروابط الجغرافية والتاريخية واللغوية الموجودة بين أجزائه، فاستمر بذلك تنقل التجار والعلماء بحرية من منطقة الى أخرى"

وموضوع الهجرة يدعونا للتساؤل لماذا توجه المهاجرون الجزائريون إلى بلاد الشام وسوريا بالخصوص وكيف تعامل العثمانيون وكيف تمكن هؤلاء الوافدين من ترك بصماتهم في الحياة الثقافية وما هي المجالات الثقافية التي برزوا فيها

إن المشـــرق العربي عامة كان منذ الفتح الإســـلامي " قبلة أنظار أهله (المغرب) ومهوى أفئدتهم : ففيه حجهم وفيه الكعبة المكرمة، قبر النبي، والمزارات الكبرى، وكل المواقع التي عاشتها الرسالة الإسلامية في مطالع انتشارها ولم تكن مقاصد المغاربة لبلاد الحجاز ومصـــر فقط بل أن بلاد الشـــام كانت هي الأخرى غاية من غاياتهم على الرغم من بعدها عن الطريق التقليدية للحج " بل أن بعضـــهم قد آثرها على وطنه وأقام بها وتزوج منها وتعلّم وعلّم بها وقد يمكث بعضـهم زمنا بها ثم يعود

إلى بلاده و بالإضافة إلى العوامل الدينية فإن العوامل الجغرافية الطبيعية تشجع على انتقال المغاربة إلى بلاد الشام فالتشابه بين طبيعة المنطقتين لا يشعر الوافد إليها بالغربة أو صعوبة التأقلم، وقد أشار المقري في كتابه نفح الطيب إلى أن التشابه كبير بين دمشق وتلمسان فاسو، كما كان للدوافع العلمية آثرها في انتقال المغاربة لبلاد الشام ولاسيما حاضرة دمشق التي كانت منارة من منارات إشعاع العلم والثقافة. ثم تأتي في الأخير الدوافع الاقتصادية وخاصة التجارية، إذا تتبعنا آثار ودور الجزائريين في بلاد الشام فإننا نجد بصماتهم تعود إلى العهد الفاطمي في مصر وبلاد الشام بين أواخر القرن الرابع والسادس الهجريين (10 و 12 الميلاديين ،) حيث كانت قبيلة كتامة المغربية هي التي تتولى تسيير البلاد إداريا وقضائيا وعسكريا (ولاة وقضاة وضباط)

بعض العلماء الذين هاجروا الى المشرق في القرن السابع عشر:

- ابن قنفذ القسنطيني (1015 - ه 1606م) باحث و مؤرخ بدمشق .

- يحيى الشاوي (1030 - 1096 ه الموافق ل 1621 - 1684م) انتقل إلى المشرق العربي سنة 1074– هـ 1663 م إلى مصر ثم دمشق حيث كان له مجلس علمي مهيب بالجامع الأموي مدحه الشعراء وحضره العلماء وطلب بعضهم منه الإجازة كالمحبي صاحب (خلاصة الأثر) وقد كان متضلعا بالحديث والفلسفة والمنطق.

- احمد شهاب الدين المقري (986 -1041 - ه 1578 – 1631م) ولعله من ابرز الجزائريين الذين تركوا بصماتهم في دمشق، فقد وصف المحبي الجلسة التي ختم فيها المقري "صحيح البخاري" كيف كانت لهفة أهل دمشق وطلبة العلم بالجامع الأموي وصفا ممتعا يبين فيها تهافت الناس لسماعه وتأثرهم بدرسه وحديثه حتى ازدحم الناس لتقبيل يده"، و لم يتفق لغيره من العلماء الواردين على دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس"، وقد استجاب المقري لرغبة علماء دمشق وأدباءها وألف كتابه الشهير المسمى" نفح الطيب .."حول شاعر غرناطة ووزيرها لسان الدين ابن الخطيب والذي يعد موسوعة أدبية في ثمانية مجلدات، ومن أعلام الجزائر ورجالها في المشرق العربي والشرق الإسلامي عموما مثل لبنان و فلسطين مصر والحجاز و

العراق و اليمن و الهند و إيران و باكستان وتركيا كانت لهم بصمات او اسهامات في الحياة الثقافية في بلاد المشرق العربي والمغرب عموما.

المراجع والمصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- لزغم فوزية: الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830، مكتبة الجزائر للدراسات التاريخية، الجزائر، 2011.

- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر، 1989.

- عبد القادر صحراوي: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520 -1830، دار هومة- الجزائر، 2016.

- عبد العزيز الشهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، وهران،2007.

ابو العيد دودو : الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.

- عميراوي حميدة: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، ط2، الدار العثمانية، الجزائر، 2019.

- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة محمد يحيان، دار الحكمة، ج4، ط2، الجزائر، 1999.

- أسعد السحمراني، التصوف، دار النفائس، لبنان، 1987.

- الطاهر بوناني: التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، طبعة 1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000.

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج2، دار الكتاب اللبناني، د ط، بيروت، لبنان، 1982م.

- عبد العزيز قيبوج، الحياة الثقافية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الزيّاني، مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية جامعة الجلفة، المجلد 3، العدد 2، 2019.

- مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني من 1518 حتى 1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد (5) العدد (16)، جامعة تكريت، نيسان 2013.

- رقية شارف، حركة التأليف التاريخي الجزائري في الفترة العثمانية نماذج من المؤرخين، مجلة قضايا تاريخية العدد 06 السنة 2017.

- العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سرتا العدد 3، الجزائر 1980,

- مؤيد محمود محمد المشهداني وآخرون: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة (الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 5 العدد 16، مارس2013.

- شودار مبارك، التراث التاريخي للجزائر في العهد العثماني، المجلة الجزائرية للمخطوطات المجلد 8، العدد 9.

- مختارية بوسيف: أعلام من مدينة تلمسان في الجزائر العثمانية، مجلة الاستيعاب، العدد 03، 2019.

- أعلام المذهب المالكي في الجزائر ودورهم في تأسيس وبناء المرجعية الفقهية، إلياس بن عمراوي، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، المجلد 18، العدد 36

- محمد مكحلي، دور الزوايا الإصلاحي في تحضير ثورة التحرير، الملتقى الوطني الأول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 2007.

- مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة عن المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ع02، ديسمبر 2002.

- بأحمد أسامة: قراءة تحليلية سوسيولوجية لدور المؤسسات الدينية في الحفاظ على الموروث الثقافي، مجلة (الفكر المتوسطي، العدد13، جانفي 2018، جامعة على لونيسي البليدة، ص193.

- مخفي مختار، دور علماء الجزائر اجتماعيا وسياسيا خلال العهد العثماني مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة سعيدة، المجلد 8، العدد 4 ،2017، 376)

- رشيدة شدري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ، الجزائر، 2007 .

بن سعدي سهام: المذهب المالكي نشأته وانتشاره وإسهامات أبرز علماء الجزائر في خدمته، قدم للملتقى الدولي جهود علماء المالكية في خدمة علوم السنة النبوية، جامعة المسيلة، أفريل 2018،

http://dspace.univ-msila.dz:8080/xmlui/bitstream/handle